المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه

تهذيب القرآن لصفات النقص الفعلية الجبلية في الإنسان دراسة موضوعية

إعداد
د. سلطان صغير نايف العنزي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك قسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز البحوث الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحدود الشمالية، عرعر، المملكة العربية السعودية
sultan.alanazi@nbu.edu.sa

Dr. Sultan Sagheer Nayef Al-Anazi

Associate Professor of Tafsir and Quranic Sciences, Department of Islamic Studies, Northern Border University, Kingdom of Saudi Arabia.

ملخص البحث[(١)]:

يهدف البحث إلى جمع صفات النقص الجبلية في الإنسان، الواردة في القرآن الكريم بصيغة الفعل، وبيان معناها في اللغة والقرآن الكريم، وبيان حكم القرآن عليها، ودراسة الآيات التي وردت فيها إجمالاً؛ ثم البحث عن تهذيب تلك الصفات، الوارد في سياق الآيات نفسها، ثم التهذيب الوارد خارج سياقها، وإيراد كلام المفسرين في ذلك باختصار.

واشتمل البحث على مقدمة وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة.

وكانت الدراسة دراسة موضوعية، وأما المنهج المتبع في البحث: فهو الاستقرائي التحليلي.

وخلص البحث إلى عدة نتائج أهمها: أن الصفات التي دُرست في هذا البحث بلغت سبع صفات، وهي: الاستعجال والإعراض والجهل والخصومة والطغيان والغرور والفجور؛ وكلها صفات نقص جبلية مذمومة، وهي عامة في كل إنسان، إلا أنها ظاهرة في الكفار أكثر؛ وأن كل صفة جاء في سياقها ما يهذبها أعظم التهذيب، كما جاء تهذيبها في مواضع أخر.

الكلمات المفتاحية: صفات النقص، الصفات الجبلية، التهذيب، القرآن الكريم.

(١) يتقدم الباحث بالشكر لمركز البحوث الإنسانية والاجتماعية بجامعة الحدود الشمالية– المملكة العربية السعودية– لدعمهم هذا العمل بموجب العقد رقم:
NBU-RAA-(01-95-2025)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خالق الإنسان من طين، هو أقرب إليه من حبل الوتين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الأمين، المجتبى من أطهر سلالة، المصطفى بالوحي والرسالة، أنعم عليه بالخُلق العظيم، والنهج القويم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فإن هدايات القرآن كثيرة، وإرشاداته غزيرة، ومن تلك الهدايات: الإشارة إلى ما يهذب سلوك الإنسان، ويقوّم أخلاقه، ويغيّر أفعاله وطبائعه وما جُبل عليه، ولا غرو إذ هو تنزيلٌ من حكيم حميد، عليم خبير، أتقن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، وأحاط علماً بما انطوت عليه نفسه من أفعال وتصرفات، وما جُبلت عليه خِلقته من صفات، فأنزل في كتابه العزيز ما يهذّب تلك الأفعال والصفات، فكان أعظم مَعِين يُستقى منه الاهتداء، وتَرِد عليه النفوس الظِّماء، فمن خَلق ذلك الإنسان هو أعلم بما يصلحه، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

ومن هنا استخرت الله ﷻ في النظر والبحث في موضوع تهذيب صفات الإنسان الفعلية الجبلية، وكيف هذبّها القرآن الكريم وإلامَ أرشدها؟ إذ في ذلك صلاحها وفلاحها في الدنيا والآخرة.

وخصصت البحث في الصفات الفعلية للإنسان، لكون الصفات الاسمية أخذت في بحث سابق وأما الفعلية فلم أقف على بحث استوعب أطراف هذا الموضوع ودرسه بهذه المنهجية التي سأبينها إن شاء الله، وسميته: «تهذيب القرآن لصفات النقص الفعلية الجبلية في الإنسان "دراسة موضوعية"».

والله أسأل أن يهديني لما فيه خير وسداد، وأن يرشدني للحق والصواب والرشاد، إنه أكرم مسؤول وأعظم مأمول. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تظهر أهمية البحث وتتجلى أسباب اختياره فيما يأتي:

١- التعبد لله ﷻ بالعيش مع كتابه العزيز، ودراسته وتدبره، إذ إن ذلك من أجل العبادات

التي أُمرنا بها.

٢- دراسة صفات الإنسان ووسائل تهذيبها وأسباب تزكيتها من أهم المطالب، والحاجة إليها ماسة، ولا غنى لأحد عن معرفتها.

٣- تهذيب الأخلاق والسلوك، وتقويم الصفات من وسائل إصلاح المجتمع، فالإنسان فرد من أفراده ولبنة من لبناته، وفي صلاحه صلاحٌ للمجتمع.

٤- ضرورة معالجة القضايا الفردية والمجتمعية، لاسيما السلبية منها؛ ولا شك أن معالجتها من خلال الهدايات القرآنية، والإرشادات الربانية، أعظم وسائل العلاج، وأنفعه وأجدره.

٥- يأتي هذا البحث كتوصية علمية في بحث سابق، عالج الجانب الأول لهذا الموضوع، فأرجو أن يعالج هذا البحث الجانب الآخر منه، فيكون تكميلاً له، وذلكم البحث هو: «تهذيب القرآن لصفات النقص الجبلية في الإنسان – دراسة موضوعية، للباحث د. سلطان بن صغير العنزي»، وقد خصصه الباحث في دراسة الصفات الواردة بصيغة الاسم فقط، كالظلوم والجهول، فلم يتطرق للصفات الفعلية أبداً.

إشكالية البحث:

يحاول الباحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما صفات النقص الفعلية الجبلية التي وُصف بها الإنسان في القرآن الكريم؟

٢- ما حُكم القرآن على تلك الصفات؟

٣- كيف هذّب القرآن تلك الصفات في السياق التي وردت فيه؟ وبم هذبها خارج السياق؟

أهداف البحث:

يهدف الباحث من خلال هذا البحث إلى ما يأتي:

١- إحصاء صفات النقص الفعلية الجبلية للإنسان التي وردت في القرآن الكريم.

٢- التعريف بتلك الصفات، وبيان حكم القرآن عليها.

٣- استنباط تهذيب القرآن لتلك الصفات وإرشاداته إلى تقويمها، في سياق الآيات، وخارج ذلك السياق.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة تناولت الصفات الفعلية الجبلية للإنسان، وإنما وقفت على دراسات أخرى تشابه الموضوع من جهة العنوان، وتفارقه من جهة المحتوى والمضمون، وهي كثيرة، سأقتصر على بعضها طلباً للاختصار.

١- تهذيب القرآن لصفات النقص الجبلية في الإنسان "دراسة موضوعية" للباحث: د. سلطان بن صغير العنزي، بحث منشور في مجلة العلوم الشرعية- جامعة القصيم- ج(١٤)، العدد (٢)، ربيع أول ١٤٤٢/ نوفمبر ٢٠٢٠م؛ وقد تناول الصفات الواردة بصيغة الاسم فقط، كالقتور والكفور والظلوم، ولم يتطرق للصفات الواردة بصيغة الفعل كالطغيان، لذا جاء هذا البحث متمماً للجانب الآخر منه.

٢- صفات الإنسان في آيات القرآن، للباحث: د. محمد الطيب مساعد، بحث منشور في مجلة كلية الاقتصاد بجامعة أم درمان الإسلامية، وهو بحث مختلف تماماً عن بحثي، حيث اعتمد الباحث فيه على جمع صفات الإنسان في القرآن، ونقل كلام المفسرين دون ذكر القول الراجح، ولم يتطرق فيه لكيفية تهذيب تلك الصفات.

٣- صفات الإنسان المذمومة في القرآن الكريم وسبل التزكية منها في ضوء مصادر التربية الإسلامية، للباحث: د. إبراهيم بن محمد العيسى، بحث منشور في مجلة كلية التربية، بجامعة أسيوط، والفرق بينه وبين بحثي واضح جداً حيث إنه بحث تربوي، يعالج تلك الصفات من ناحية تربوية، أما بحثي فبحث تفسيري، يعالج الصفات من ناحية تفسيرية بالنظر إلى سياق الآيات.

وهناك أبحاث أخرى تركت الإشارة إليها اختصاراً، كما هو شأن البحوث المحكمة المختصرة، وكلها تختلف عن بحثي هذا من جوانب عدة، أهمها: أن بحثي اعتمد على تهذيب الصفات بالنظر إلى سياق الآيات الواردة فيها تلك الصفات، ثم النظر في التهذيب خارج السياق، دون الخروج إلى مصادر أخرى.

حدود البحث:

حدود البحث: القرآن الكريم، فالبحث مقصور على الصفات الواردة في القرآن الكريم، دون الواردة في السنة النبوية، كما اقتصر على الصفات الواردة بصيغة الفعل أو المأخوذة من الفعل

الوارد في الآيات؛ وذلك بأن يُذكر فِعل منسوبٌ للإنسان، فنأخذه منه صفته الجبلية، كصفة الطغيان المأخوذة من الفعل (طغى) في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦﴾ {العلق:٦}.

ولا أتطرق للصفات الواردة بصيغة (الاسم)، كصفة الظلم والكفور المأخوذة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ۝٣٤﴾ {إبراهيم:٣٤}، لكونها درست في البحث الأول المشار إليه في الدراسات السابقة.

وأما طريقة معالجة تلك الصفات وكيف هذبها القرآن: فيكون أولاً بالنظر إلى السياق الذي وردت فيه تلك الصفات، في الآية نفسها أو الآيات السابقة واللاحقة لها، ثم أنظر في التهذيب الوارد في مواضع أخرى -حسب الاستطاعة-.

منهج البحث:

بعد توفيق الله سبحانه سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك تبعاً لما يأتي:

١- جمع مادة البحث، بتتبع الآيات التي وردت فيها صفات النقص الجبلية للإنسان، المستفادة من صيغة الفعل، كالطغيان المأخوذ من قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦﴾ {العلق:٦}.

٢- التعريف بالصفة، بذكر كلام أهل اللغة والتفسير في معنى تلك الصفة.

٣- دراسة تلك الصفة، وبيان كونها جبلية في كل إنسان وإيراد كلام المفسرين في ذلك.

٤- استنباط التهذيب القرآني لتلك الصفات، وكيف عالجها القرآن في السياق نفسه التي وردت فيه تلك الصفة، أولاً ثم في السياقات الأخرى مع نقل كلام المفسرين حول ذلك.

٥- سلكت المنهج المتبع في البحوث الأكاديمية، من جهة عزو الآيات، وتخريج الأحاديث تخريجاً مختصراً، وعزو الآثار إلى مصادرها، والأقوال إلى قائليها.

٦- ختم البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات التي يراها الباحث، ثم تذييله بفهرس المصادر والموضوعات.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: ذكرت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأسئلته، وأهدافه، والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمفردات العنوان.

المطلب الثاني: بيان عناية القرآن الكريم بتهذيب صفات الإنسان.

المبحث الأول: صفة[١] الاستعجال في الدعاء والطلب وعدم القناعة.

المبحث الثاني: صفة الإعراض وقت الرخاء.

المبحث الثالث: صفة الجهل بالحال والعاقبة.

المبحث الرابع: صفة الخصومة.

المبحث الخامس: صفة الطغيان.

المبحث السادس: صفة الغرور.

المبحث السابع: صفة الفجور.

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: فيها فهرس المراجع والمصادر وفهرس الموضوعات.

وأسال الله الكريم سبحانه أن يعينني ويهديني الصواب ويوفقني للهدى والرشاد إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رتبت الصفات ترتيباً ألفبائياً على حروف الهجاء.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمفردات العنوان:

التهذيب-لغةً- من هذب، قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهاء والذال والباء: كلمة تدل على تنقية الشيء مما يعيبه، يقال: شيء مهذب: منقّى مما يعيبه»[1]. والتهذيب: التنقية، وهذبه: نقاه وأخلصه وقيل: أصلحه، وهذب النخلة: نقّى عنها الليف.[2].

القرآن الكريم: كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمدٍ ﷺ، منه بدأ وإليه يعود، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سوره[3].

الصفات الجبلية للإنسان: هي الصفات المركبة في الإنسان من أصل خلقته التي خلقه الله عليها، وجعلها من طبعه اللازم له، لذا يقال: جُبل الإنسان على كذا: أي طُبع عليه[4].

وهذه الصفات وردت منسوبة إلى الإنسان بعدة صيغ، كالصيغة الاسمية والفعلية والمصدر وصيغ المبالغة، وهذا البحث مقصود على ما ورد بصيغة الفعل

وبناء عليه: **فالصفات الفعلية** يُقصد بها في هذا البحث: الصفات التي أخذت من فعلٍ نُسب إلى الإنسان، ودلّ هذا الفعل على أنه نابع من صفة جبلية فيه.

فربما كانت الصفة مأخوذة ومشتقة من مادة الفعل نفسه، كصفة الإعراض المأخوذة من الفعل (أعرض) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ {الإسراء:٨٣}.

وربما أخذت من دلالة الفعل ومعناه، كصفة الاستعجال المأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ {الإسراء:١١} فهذا الفعل وهو دعاؤه بالشر يدل على أنه نابع من صفة الاستعجال الجبلية فيه، كما يؤيده تذييل الآية، وكما نص عليه ابن كثير والسعدي، وسيأتي نقل كلامهم بعد قليل إن شاء الله.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤٥/٦) مادة هذب.

(٢) انظر: تاج العروس، الزبيدي (٥١٦/١٠) مادة: هذب.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٦٤/١٢)، أصول التفسير، ابن عثيمين (ص٨)، التعريفات الاعتقادية، سعد آل عبد اللطيف (٢٥٩).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٩٦/١١) مادة: جبل.

وبناء على ما تقدم: يكون **معنى تهذيب القرآن للإنسان**: هدايته لما يصلحه، وتنقيته من شوائب الأخلاق السيئة والطباع المشينة، وتخليصه مما يُلحق به الذمّ شرعاً وعرفاً وعقلاً.

المطلب الثاني: بيان عناية القرآن الكريم بتهذيب صفات الإنسان.

لقد أولى القرآن الكريم الأخلاق عموماً، وصفات الإنسان خصوصاً عناية عظيمة، فالقرآن هو دستور الأخلاق، الدال على فضائلها، والمحذر من رذائلها، والمقوم لما اعوجّ منها، وقد أخبرنا الله تعالى فيه أنه بيّن لهذه النفس فجورَها وتقواها وعرفها ذلك[1]، فقال سبحانه ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾ {الشمس:٧-٨}، والإنسان قد هُدي إلى طريقي الفضيلة والرذيلة، وبُيّنا له أتم بيان، كما قال سبحانه: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ {البلد:١٠} .

ومن ذلك أنه سبحانه أخبر الإنسان بما جُبل عليه، وما ركّبت عليه طباعه، من صفات حسنة، وصفات سيئة، فالصفات الأولى: صفات كمال، والأخرى: صفات نقص، ولكن الله ﷻ مع ذلك لم يتركه سدى، بل أمره ونهاه، وأرشده ووجه ورباه، بل أوضح لنا ﷻ أنه كرمّه تكريماً عظيماً، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ {الإسراء:٧٠}، وهذا تشريف يلحقه تكليف، فيلزم الإنسان أن يقدر هذه النعمة قدرها، وأن يكون أهلاً لهذا التكريم، يقول د.دراز رَحِمَهُ ٱللَّهُ «ولكنّا إذا ما نحّينَا جانبًا تلك الإشارات الخارجية إلى الكرامة الإنسانية، وإذا ما وقفنا أمام القيمة الأخلاقية فإنه يبدو لنا أن القرآن لا ينظر إلى الطبيعة الإنسانية على أنها شريرة في أصلها، ولا على أنها فاسدة فسادًا عضالًا، بل على العكس من ذلك: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ {التين:٤} ولم يهلك من الناس –بعد هذا– سوى الجاحدين، والذين لا يؤدون شعائر دينهم»[2].

وإذا ما جمعنا بين إخبار الله تعالى لنا عن تكريم الإنسان، وإخباره عما جُبل عليه من صفات نقص، أدركنا أن الله تعالى إنما يريد أن يرحمنا ويهدينا، وأن يحثنا ويرشدنا إلى المحافظة على هذه الكرامة، والقيام بشكر تلك النعم العظيمة، فوجب على الإنسانِ - المريدِ نجاةَ نفسه

---

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير (٢٤/٤٤١).

(٢) دستور الأخلاق في القرآن، د.محمد عبد الله دراز (ص٢٨)

وصلاحَها وفلاحها في الدنيا قبل الآخرة- أن يتدبر هذا الكتاب العزيز وأن يمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه، وأن يسير مع هداياته سيراً حسناً، فينظر في أخلاقه وصفاته التي جُبل عليها، ويسعى في إصلاحها، وينظر كيف هذبها القرآن وكيف أرشد إلى تقويمها، فيجعله هاديه ودليله، ليقوده إلى سبل السلام، ويخرجه من الظلمات إلى النور.

وليتأمل وليتدبر السياقَ[1] الذي وردت فيه تلك الصفة، فإنه سيجده ما يبهره من هدايات وإرشادات، ولا غرو، فسلطان السياق عظيم جداً، وهو من أجل المرجحات في معاني الآيات، وقد أولاه المفسرون عناية فائقة، لما له من أهمية بالغة في الكشف عن معاني الآيات، بل وفي محالّ ألفاظها، فتأمل -مثلاً- مجيء لفظ (الموقنين) في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾ {الذاريات:٢٠}، الذين اتصفوا باليقين وتمكنت فيهم تلك الصفة؛ تأمل لِمَ لم يأتِ لفظ (المؤمنين) أو غيره مثلا، ستجد أن هذا اللفظ أنسب لفظ في هذا المقام، إذ يتناسب مع لفظ ومعنى (الخراصين) في قوله تعالى قبلها: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠﴾ {الذاريات:١٠} وهو المرتابون الشاكّون[2]، فناسبت صفة الشك والارتياب أن تقابل بصفة اليقين.

والسياق بأنواعه -سياق الآية وسياق السورة والسياق القرآني الشامل- يجب ألا يهمله المفسر، وألا يغفل عنه طرف عين، وانظر صنيع إمام المفسرين الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي وصفه الشيخ محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «من حق أبي جعفر رضي الله عنه أن أقف بقارئ كتابه على مثل هذا الموضع من تفسيره لأقول مرة أخرى: إنه كان مفسراً إماماً سبق ففات السابقين لم يلحقه لاحق في البصر بمعاني كتاب ربه وفي الحرص على بيان معانيه، وفي الدقة البالغة في ضبط روابط الآيات بعضها ببعض... ولم يكتب أبو جعفر ما كتب على سبيل الموعظة ... بل كتب بالبرهان والحجة والملزمة **واستخرج ذلك من سياق الآيات المتتابعة** ... وأبو جعفر لم يغفل قط عن هذا الترابط الدقيق بين معاني الكتاب، سواء كان ذلك في آيات الأحكام أو آيات القصص أو غيرها من نصوص الكتاب، فهو يأخذ المعنى في أول الآية ثم يسير معه كلمةً

(١) السياق: تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده، ودلالة السياق: فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده. انظر: دلالة السياق د.القاسم (٩٣/١).

(٢) انظر: جامع البيان، ابن جرير (٤٩٢/٢١).

كلمةً وحرفاً حرفاً ثم جملةً جملةً غير تاركٍ أيّ شيء منه أو متجاوز عن معنى يدل عليه سياقها»[١].

وفي هذا دلالة على أهمية السياق في فهم المعاني واستنباط الأحكام واستخراج الهدايات والإرشادات، لذا حرصت على تتبع تهذيب الصفات الجبلية المذمومة في السياق الذي وردت فيه، إذ لم أقف على بحث استوفى ذلك، والله المستعان وعليه التكلان.

(١) جامع البيان بتحقيق شاكر (٥٣٧/٤) حاشية (١).

المبحث الأول: صفة الاستعجال في الدعاء والطلب وعدم القناعة، الواردة في قوله تعالى:

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ {الإسراء:١١}؛ وقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ {فصلت:٤٩}.

والشاهد منهما: وصف الإنسان بالعجلة حين الدعاء، كما سيأتي في التفسير.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الاستعجال، وبيان حكم القرآن عليها.

الاستعجال: لغةً من العجلة، وهي السرعة؛ وكل ما ينقضي سريعاً فهو عَجِل، وهي عَجْلى، ومنه: تسمية الدنيا بالعاجلة(١)، والاستعجال والإعجال والتّعجّل واحد بمعنى الاستحثاث وطلب العجلة(٢).

ومعنى الاستعجال في القرآن: هو طلب الشيء وتحريه، قبل وقته وأوانه(٣). وعلماء المعاني ردوه إلى معنى التسرع، والسياق يقطع بهذا. كما يقوله د.محمد جبل(٤).

وقد جاء وصف الإنسان بالاستعجال في الدعاء والطلب وعدم القناعة، في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ {الإسراء:١١}؛ وقوله: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ {فصلت:٤٩}.

فصفة الاستعجال صفة جبلية، وكونها فعليه مأخوذ من فعله الموصوف في الآية، وهذا ما نص عليه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ قال -في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ {الإسراء:١١} -: «يخبر تعالى عن عجلة الإنسان ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله ﴿بِٱلشَّرِّ﴾ أي: بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك، فلو استجاب له ربه

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور (١٣/٤٥١) مادة: عجل.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/٢٣٧)؛ لسان العرب، ابن منظور (١٣/٤٥١)، تاج العروس، الزبيدي (٧/٨٤) مادة: عجل.

(٣) انظر: مفردات القرآن، الراغب (ص٥٤٨) مادة: عجل.

(٤) انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل، د.جبل (٣/١٤٤٦)، ويعني بالسياق قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧)﴾ [الأنبياء: ٣٧].

لهلك بدعائه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ {يونس:١١} وكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة(١)، وقد تقدم في الحديث: ((لا تدعوا على أنفسكم، ولا على أموالكم، أن توافقوا من الله ساعة إجابة يستجيب فيها))(٢)؛ وإنما يحمل ابن آدم على ذلك قلقه وعجلته»(٣)، ويؤيد هذا تذييل الآية بقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ضجِرا، لا صبر له على سراء ولا ضراء»(٤)، وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان الإنسان عجلًا بالدعاء على ما يكره أن يُستجاب له فيه»(٥)، وأفاد دخول الباء في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ تأكيدَ لصوقِ العامل بمعموله أو لتضمين مادة الدعاء معنى الاستعجال، كما دل (لفظ كان) الوارد في تذييل الآية ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ على أن اسمها متصف بخبرها اتصافاً متمكناً، فأفاد تمكن اتصاف نوع الإنسان بالاستعجال(٦).

وأما آية فصلت وهي قوله: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ {فصلت:٤٩}، فمؤكد لما جُبل عليه الإنسان من استعجاله في دعائه، وكونه لا يمل من طلب المال وصحة الجسم وغير ذلك، فإن أوتيه فرح، وإن لم يؤته يئس وقنط، ووقع في ذهنه بعد هذا أنه لن يحصل له خير، فهو لا يقتنع بقليل ولا بكثير من هذه الدنيا(٧).

ومما يؤكد كونها صفة جبلية قول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ {فصلت:٤٩}: «هذا إخبار عن **طبيعة الإنسان** من حيث هو وعدم صبره وجلده، لا على الخير ولا على الشر، إلا من نقله الله من هذه الحال إلى حال

---

(١) روى أقوالهم ابن جرير في جامع البيان (١٤/٥١٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٨/ ٢٣٣) رقم (٣٠٠٩) كتاب الزهد، باب حديث جابر الطويل.

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦).

(٤) رواه ابن جرير في جامع البيان (١٤/٥١٤).

(٥) رواه ابن جرير في جامع البيان (١٤/٥١٢).

(٦) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٤٢)

(٧) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٥٣٤)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص١٠٣٩).

الكمال»[1]، وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سياق الآيات: «يؤمئ بأن **للجِبِلّة** الإنسانية أثراً قوياً في هذا الخُلق»[2].

وأيضاً قد سبقهم إلى هذا الإمام الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «فأَعلم الله عَزَّوَجَلَّ أن الإنسان خُلق عجولاً، فهذا خلق عليه جملةُ البشر من آدم إلى آخر ولده؛ والإنسان ههنا في معنى الناس»[3].

وهذه الصفة ظاهرة جليّة في الكفار، لكن قد يتصف بها بعض المسلمين، مما يدل على أنها صفة جبلية، قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجُلُّ الآية يعطي أنها نزلت في كفار، وإن كان أولها يتضمن خُلُقاً ربما شارك فيها بعض المؤمنين»[4].

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة جبلية في الإنسان، وهذا ما فهمه المفسرون من هاتين الآيتين، كما تقدم من كلام ابن كثير على آية الإسراء، وكلام السعدي على آية فصلت.

والأعم الأغلب أنه مذمومة في القرآن، لكن قد يُمدح عليها العبد إن كانت عجلةً إلى خير، كما قال تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ {طه:٨٤}؛ وقيل: العجلة دائماً مذمومة، لأنها من مقتضيات الشهوة[5]، بخلاف المسارعة، ففيها تفصيل إذ يختلف حكمها، فتُمدح إن كانت إلى الخير، كما قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ {المؤمنون:٦١}؛ وتُذم إن كانت إلى شر كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ {آل عمران:١٧٦}، وقال: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ {المائدة:٦٢}.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الاستعجال:

بيّن الله تعالى لنا خطر الاستعجال وضرره، فالمستعجل إما أن يستبطئ الإجابة لما دعا به من خير، أو يستعجل فيدعو على نفسه وماله بالهلاك والعياذ بالله، فالاستعجال في طلب الخير

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص١٠٣٩).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٥/٩).

(٣) معاني القرآن، الزجاج (٣/ ٢٢٩).

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية (٨/٥٤٠).

(٥) قاله الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز (٤/٢٣).

من موانع إجابة الدعاء أو تأخره؛ والاستعجال في الشر قد يوافق ساعة استجابة فيقع ما دعا به على نفسه فيكون فيه هلاكه، كما جاء ذلك صريحاً في الحديث السابق، وأيضاً في قول النبي ﷺ:«لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل» قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: «يقول: قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويَدَع الدعاء»[1].

وتهذيب هذه في هذا السياق فهو –والله أعلم– بأمرين:

الأول: إخبار الإنسان بأنه إن عَمِلَ صالحاً فإنما ينفع نفسه، وإن عمل سيئة فإنما عاقبتها عليه، كما قال سبحانه في السياق السابق لهذه الآية: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ {فصلت:٤٦} فكأن هذه الآية توطئة لما سيأتي من الإخبار بما اتصف به الإنسان، وذلك موجبٌ لأن يلزم طريق الإيمان، وأن يجاهد نفسه على التخلص من هذه الصفة وأن يربيها تربية إيمانية تبلغه السلامة منها، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمؤمن لا تزال تربية الإيمان تكفه عن هذا الخلق حتى يزول منه أو يكاد»[2].

الثاني: التهديد والوعيد بيوم القيامة وما فيه من الجزاء والحساب، وذلك ظاهر في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ ﴾ إلخ {فصلت:٤٧}، وقوله: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ {فصلت:٥٠}، إلى نهاية السورة؛ وإذا توعد الله تعالى الكفار على صفة اتصفوا بها، أوجب ذلك التحذير والتخويف للمؤمنين من التشبه بهم، والتلبس بتلك الصفة، خشية أن يصيبهم ما يصيب الكفار، بجامع الاشتراك في الاتصاف بها.

وأما تهذيب هذه الصفة ففي غير هذا السياق فقد جاء بذم الإنسان على اتصافه بالعجلة، ثم بالنهي الصريح عنها، في قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ {الأنبياء:٣٧}، قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم، **فقدم أولاً ذمَّ** الإنسان

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٤) رقم (٦٣٤٠) كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل؛ ومسلم في صحيحه (٨/ ٨٧) رقم (٢٧٣٥) كتاب الذكر والدعاء، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٥/ ١١).

على إفراط العجلة، وأنه مطبوع عليها، **ثم نهاهم** وزجرهم، كأنه قال: ليس ببدع منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك، وهو طبعكم وسجيتكم»[١]، بل في وصفه أنه خلق من عجل ذم أيضاً لأن العرب تصف من أكثر من شيء وغلب عليه بأنه خلق منه[٢]، فتقول لمن أكثر من اللعب: خُلق من لعب، على سبيل الذم، فدلّ قوله خلق من عجل على أنه على هيئة مذمومة، وأن مغالبته لما جبل عليه وانفكاكه منه حالة ممدوحة، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نبه بهذا على أن ترك الاستعجال حالة شريفة عالية مرغوب فيها»[٣]. وإذا كان الله جَلَّ جَلَالُهُ قد نهى نبيه ﷺ عن العجلة في القرآن فالنهي عن العجلة في غير القرآن كالدعاء وغيره من باب أولى، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ {طه:١١٤}، وقال: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦﴾ {القيامة:١٦} . فدلت الآيات على ذم العجلة والنهي عنها دلالة واضحة؛ قال الفيرزآبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعجلة من مقتضيات الشهوة؛ فلذلك ذمت في جميع القرآن، حتى قيل: العجلة من الشيطان»[٤]. والحمد لله.

(١) الكشاف، الزمخشري (٣/٨٨).

(٢) انظر: معاني القرآن، الزجاج (٣/٣١٨).

(٣) التفسير الكبير، الرازي (٢٢/ ١٤٤).

(٤) بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي (٤/ ٢٣).

المبحث الثاني: صفة الإعراض وقت الرخاء، الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ {الإسراء:٨٣}، **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١﴾ {فصلت:٥١}.

والشاهد منهما: وصف الإنسان بالإعراض بعد الإنعام.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الإعراض وقت الرخاء، وبيان حكم القرآن عليها،

الإعراض -لغةً-: الصدود، وهو مِنْ أعرض أي: ذهب عرضاً وطولاً، وأعرض عنه: صدّ؛ ويقال: أعرض بوجهه إذا ولّاه عرضه وعارضه أو ولاه جانبه وظهره(١).

ومعنى **الإعراض في القرآن**: يقارب معناه في اللغة، إلا أنه أعم من جهة شموله الإعراض الحسي والمعنوي، وتضمّنِهِ معنى الانحراف؛ فالمعرض يعرض بجسده؛ ويعرض بقلبه، فينحرف حساً ومعنىً، والأصل أنه يطلق على الأجسام، ثم استعمل في غيرها(٢)، ولذا تعبّر العرب عمن هذه حاله بعدة عبارات، فيقولون: نأى بجانبه، وركب فلان رأسه، وشمَخ بأنفه، وصعَّر خده، ولوَى شِدْقه(٣).

وجاء وصف الإنسان بالإعراض وقت الرخاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ {الإسراء:٨٣}، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١﴾ {فصلت:٥١} فيخبر الله ﷻ عن حال الإنسان وطبيعته من حيث هو، إلا من هداه الله ﷻ ؛ فإن الإنسان حال الإنعام يفرح بالنعم؛ وقد يبطر بها ويعرض عن شكرها، وينأى عن ربه، فيُبعد ولا يميل إلى شكر ولا طاعة، ولا يذكر ربه ولا يشكره؛ فإذا غيّر الله تعالى حاله وسلبه النعمة التي لم يشكرها، أو حلّ به سوء ومكروه وشر ومرض وغير ذلك أصابه اليأس، وظنّ بالله ظن السوء، حتى يظن أن ما حلّ به دائم أبداً لا

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢٧٢/٤)، تاج العروس، الزبيدي (١٩١/٧) مادة عرض.

(٢) انظر: مفردات القرآن، الراغب (ص٥٥٨)، المعجم الاشتقاقي، د.محمد حسن جبل (١٤٧٩/٣) مادة: عرض.

(٣) انظر: التيسير في التفسير، النسفي (٩/ ٤٦٩).

يزول، فهذه طبيعة الإنسان، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا وصف وتذكير بضرب آخر من طغيان النفس الإنسانية غير خاص بأهل الشرك، بل هو مُنْبَثٌّ في جميع الناس على تفاوت إلا من عصم الله»[(١)].

فأما من هداه الله ووفقه فيكون عبداً شكوراً عند النعماء، وعبداً صبوراً عند البلاء، وهذا الصنف قليل في الناس، مما يدل على أنه خلاف الأصل في الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ {سبأ:١٣}[(٢)]، ولعله طُوي ذكر هذا القليل، إشارةً إلى أنه لقلة أفراده حتى كأنه عُدم، كما يقوله البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]، ولذا قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا وصف وتذكير بضرب آخر من طغيان النفس الإنسانية غير خاص بأهل الشرك بل هو منبث في جميع الناس على تفاوت إلا من عصم الله»[(٤)].

وحكَمَ القرآنُ عليها: بأنها صفة نقص جبليّة مذمومة، وهذا قول أكثر المفسرين[(٥)]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالى عن نقص الإنسان من حيث هو إلا من عصمه الله تعالى»[(٦)]، وقال النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذَكَرَ تعالى قُبح شيمةِ الإنسان الذي جُبل عليه فقال: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ أي: على هذا الجنس»[(٧)]، وقال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويحتمل أن يكون الإنسان في هذه الآية عاماً للجنس على معنى: أن هذا الخُلُق الذميم في سجيته، فالكافر يبالغ في الإعراض؛ والعاصي يأخذ بحظه منه»[(٨)]، ولما حكى الفخر الرازي قول من قال: إنه الكافر، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا بعيد، بل

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٨/٥٤٢)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٦٥٦).

(٣) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٤/٤١٩).

(٤) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٤).

(٥) انظر: جامع البيان، ابن جرير(١٥/٦٤)، معالم التنزيل، البغوي (٢/٧١٠)، تفسير ابن كثير (٥/١١٣)، التسهيل، ابن جزي (٢/٨٢٧)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٦٥٦).

(٦) تفسير ابن كثير (٥/١١٣).

(٧) غرائب القرآن، النيسابوري (٤/٣٨٠).

(٨) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٦/٢٧٤).

المراد أنه نوع الإنسان»[1].

ومن قواعد الترجيح: يجب حمل نصوص الوحي العامة على عمومها، ما لم يرد دليل على التخصص؛ ولفظ (الإنسان) اسم جنس محلى بـ(أل) وهذا من ألفاظ العموم[2].

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الإعراض:

هذب الله تعالى هذه الصفة بالإرشاد إلى تدبر القرآن والاستشفاء به -الذي تكرر ذكره في هذه السورة بما لم يتكرر في غيرها[3]- فهو شفاء من الأمراض الحسية والمعنوية، وميزان للأخلاق، وأعظم مقوّم للصفات، فإن ربنا ﷻ لما ذكر مجيء الحق وزهوق الباطل، أعقبه بالتنويه إلى شأن القرآن وأنه شفاء ورحمة فقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ {الإسراء:٨٢} ثم أعقبه بذكر صفةٍ من صفات الإنسان المذمومة، فهذا فيه ذكر للدواء والداء الذي يصيب هذا الجنس البشري، وألمح له بسبيل الشفاء منه؛ قال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما ذكر تعالى تنويع ما أنزل من القرآن شفاء ورحمة للمؤمن وبزيادة خسار للظالم، عرّض بما أنعم به وما حواه من لطائف الشرائع على الإنسان، ومع ذلك ﴿أَعْرَضَ﴾ عنه وبَعُد بجانبه، اشمئزازاً له وتكبراً عن قرب سماعه، وتبديلاً مكانَ شكرِ الإنعامِ كُفرَه»[4]؛ فإذا تدبر القرآن عَلِمَ أن سبيل التخلص من الإعراض هو القيام بواجب الشكر عند النعماء، والصبر عند البلاء، والانقياد لأوامر الله تعالى، وترك التكبر والمعاندة.

ومن التهذيب كذلك ما يشعره سياق الآية من الذم لمن اتصف بهذا الصفة، فكأنه سبحانه قال: يا أيها الإنسان: إنّ من صفتك كذا وكذا، فتخلّص من هذا الصفة ونقّ نفسك بنفسك؛ ؛ ثم يتركه سبحانه ليدور في خَلَده كلُّ سبب من أسباب النجاة والخلاص منها، ونظير هذا قول النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه -لما عيّر رجلاً بأمه-: «إنك امرؤ فيك جاهلية»[5] أي: فتخلص من هذه

(١) التفسير الكبير، الرازي (٢١/ ٣٩٠).

(٢) انظر: روضة الناظر، ابن قدامة (٤٣١/٢)، قواعد الترجيح، د.الحربي (٥٢٧/٢).

(٣) حيث تكرر فيها لفظ القرآن (١١) مرة، وهذا لم يقع في سورة غيرها.

(٤) البحر المحيط، أبو حيان (١٦٦/١٤).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥) رقم (٣٠) كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية؛ ومسلم في صحيحه

الصفة، فإذا شاهد الإنسان آثار النعمة عليه فصبر عن زوالها ولم ييأس من رجوعها، استحق المدح، وسلم من الذم الوارد في الآية، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ –فيمن يستحق المدح من الناس– «هم الذين يدعونه ويتوبون إليه، ويثبتون على عبادته والتوبة إليه في حال السراء، فيعبدونه ويطيعونه في السراء والضراء، وهم أهل الصبر والشكر»[1].

وتهذيب آخر وهو الترغيب والترهيب الوارد بعد ذكر هذه الصفة في قوله تعالى في الآية التي تليها: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ {الإسراء:٨٤}، قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي: على طبيعته»[2]؛ أي: كلٌّ من الشاكر والكافر يعمل على طريقته التي تشاكل جِبلته وطبيعته التي طبعه الله عليها من خير أو شر[3]، ويعمل على ما يليق به من الأحوال[4]، فالله سبحانه هو أعلم بأهل الهداية من أهل الغواية، وسوف يجازي كلاً بعمله؛ فأما من شكر وصبر فمستحق للثواب برحمة الله وفضله؛ وأما من ضلّ عن السبيل فمستحق للعقاب بعدله وحكمته، والكل تحت مشيئة الله تعالى وهو الفعال لما يريد.

وأما سياق آية فصلت: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾ {فصلت:٥١} فهو سياق فيه تحذير ونقد له، ويبين أن الإنسان المتصف بهذه الصفة إنسان مذموم، قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من فوائد الآية الكريمة ... الفائدة الثالثة: التحذير من هذه الحال، فإذا رأى الإنسان من نفسه أنه عند النعمة يفرح ويبطر ويتهاون بما أوجب الله عليه، فليعلم أنه داخل في هذا الإنسان المذموم»[5]، وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو نقد لسلوك الإنسان

(٥/ ٩٢) رقم (١٦٦١) كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل.

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٧٢).

(٢) رواه ابن جرير في جامع البيان (١٥/٦٦).

(٣) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٤/٤١٩).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٦٥٦).

(٥) تفسير سورة فصلت، ابن عثيمين (ص٣٢٢).

في الحالتين وتعجيب من شأنه. ومحل النقد والتعجيب من إعراضه ونأيه بجانبه واضح»[١]، ومما لا شك فيه أن الإنسان بطبيعته التي لم تلوث، يفر من الذم والنقد، فإذا علم أن هذه الصفة تلحقه بركب المذمومين، وممن يلحقه النقد قاده ذلك إلى السعي في التخلص منها.

وفي غير هذين السياقين يجد القارئ عقوبات عديدة متنوعة في زمانها وأشكالها، جزاءً لمن أعرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ ﴿طه:٩٨-١٠٢﴾، فتوعد الله تعالى المعرض بأنه يأتي يوم القيامة حاملاً إثماً عظيماً، ومستحقاً عذاباً أليماً، يمكث فيه أبد الآباد، ثم بعد عدة آيات يعود السياق ليتوعد هذا المعرض بالعذاب الأليم في الدنيا، مع ما ينظره من عذاب في الآخرة، فيقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ {طه:١٢٤}، فعاقبة الإعراض شر ووبال في الدنيا والآخرة، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ يقولُ: فإن له معيشةً ضيقةً؛ والضَّنك من المنازل والأماكن والمعايش: الشديد، يقال: هذا منزلٌ ضَنْكٌ، إذا كان ضيقًا، وعيشٌ ضنكٌ»[٢]، ثم اختار رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] أن المقصود به عذاب القبر، فيضيق عليه قبره حتى تخلف فيه أضلاعه؛ وأما في الآخرة فقال الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾، وفُسر بالعمى عن الحجة، وبالعمى عن الرؤية ولا تعارض بينهما، واللفظ يحتملهما جميعاً، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى ذكره، وهو أنه يحشره أعمى عن الحجة ورؤية الأشياء، كما أخبر جل ثناؤه، فعَمَّ ولم يخصص»[٤]، وهذا يبين لنا سوء عاقبة الإعراض، وعظيم شؤمها على المعرضين في دورهم الثلاث: الدنيا والبرزخ والقيامة، نسأل الله السلامة والعافية.

إضافةً إلى تسلط الشياطين عليه، ومقارنتهم له، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٥/ ١٤)
(٢) جامع البيان، ابن جرير (١٦/ ١٩٢).
(٣) انظر: جامع البيان، ابن جرير (١٦/ ١٩٢).
(٤) جامع البيان، ابن جرير (١٦/ ٢٠١).

﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ٣٦﴾ {الزخرف:٣٦}، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأخبر سبحانه أن ابتلاءه بقرينه من الشياطين وضلاله به إنما كان **بسبب إعراضه** وعشوه عن ذكره الذي أنزله على رسوله، فكان عقوبة هذا الإعراض أن قيّض له شيطاناً يقارنه، فيصده عن سبيل ربه وطريق فلاحه، وهو يحسب أنه مهتد، حتى إذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه، وعاين هلاكه وإفلاسه، ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ٣٨﴾ {الزخرف:٣٨} ؛ وكل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله، فلا بد أن يقول هذا يوم القيامة»[1]. فينضم إلى تلكم الأنواع من العذاب: الحسرة والندامة نسأل الله السلامة والعافية.

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/ ١١٩)

المبحث الثالث: صفة الجهل بالحال والعاقبة الواردة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ {الفجر:١٥-١٦}.

والشاهد منها: وصف حال الإنسان وقت الإنعام والابتلاء، وذكر كلامه الذي يظهر منه اتصافه بجهله بحاله، وجهله بعواقب الأمور، كما نص عليه السعدي وابن عاشور في كلامهما الآتي.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الجهل، وبيان حكم القرآن عليها.

الجهل -لغةً-: يطلق على ضد العلم، وضد الطمأنينة، لأن الجيم والهاء واللام: أصلان، يدل أحدهما على خلاف العلم، والآخر على خلاف الطمأنينة؛ كما أن الجهل يعني التقدم إلى الأمور المستغلقة والمنبهمة والدخول فيها بغير علم؛ وبناء على ذلك: فالمعنى يدور على خلو الباطن مما يفيد، مع ملازمة الخفة؛ فالجاهل: خالٍ من العلم؛ والجهالة: خلو الحلم، لما فيها من خفة وطيش وسفه(١).

معنى الجهل في القرآن: ذكر الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الجهل على ثلاثة أنواع:

الأول: خلو النفس من العلم.

الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أم فاسداً(٢).

وبناء عليه: فلا يخلو إنسان من أن يتصف بنوع من أنواع الجهل المتقدمة، وحديثنا عن جهل خاص، ألا وهو الجهل بالحال والعاقبة مما يحمل الإنسان على فعل لا يحمد.

وقد جاء وصف الإنسان بهذا في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ {الفجر:١٥-١٦}، قال

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٣٩/١)، تاج العروس، الزبيدي (٥٢٤/٢)، المعجم الاشتقاقي المؤصل، د.محمد حسن جبل (٣٥٦/١) مادة: جهل.

(٢) انظر: مفردات القرآن، الراغب (ص٢٠٩) مادة: جهل.

السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه **جاهل** ظالم، **لا علم له بالعواقب**، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أن إكرام الله في الدنيا وإنعامه عليه يدل على كرامته عنده وقربه منه، وأنه إذا قدر عليه رزقه أي: ضيقه، فصار بقدر قوته، لا يفضل منه، أن هذا إهانة من الله له...»[1]، ولذا فصّل الله تعالى أحواله بقوله: (فأما) و(وأما)، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمفصّل هنا أحوال **الإنسان الجاهل**، فصّلت إلى حاله في الخفض والدعة، وحاله في الضنك والشدة»[2]؛ فبيّن لنا ربنا عَزَّ وَجَلَّ أنه ليس كل من أعطاه ووسع عليه قد أكرمه، ولا كل من ابتلاه في الدنيا يكون قد أهانه، بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يبتلي عبده بالسراء والضراء؛ فالمؤمن يكون صبارا شكورا فيكون هذا وهذا خيراً له؛ فابتلاء الله تعالى للعبد بأحدهما ليس لأجل كرامة العبد على ربه، ولا هوانه عليه، فليس كل إنعامٍ: كرامة؛ ولا كل امتحانٍ: عقوبة[3].

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقصٍ جبلية مذمومة. كما تقدم في قول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل قليل، ولاشك أنها عامة في كل إنسان[4]، قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن حيث كان هذا المقطع غالباً على كثيرين من الكفار، جاء التوبيخ في هذه الآية **لاسم الجنس**، إذ يقع بعض المؤمنين في شيء من هذا المنزع»[5]، وقال ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإنسان هنا جنس وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة وهي مع ذلك على العموم، فيمن كان على هذه الصفة»[6].

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الجهل:

هذب الله تعالى هذا النوع من الجهل بالزجر والردع عن الاتصاف به، وهو مستفاد من لفظ ﴿كَلَّآ﴾ التي جاءت تعقيباً على قول هذا الإنسان؛ فإنه لما قال ما قال، رد الله تعالى بقوله: ﴿كَلَّآ﴾ {الفجر:١٧}، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أعقب الله ذلك بالردع والإبطال بقوله: ﴿كَلَّآ﴾، فمناط

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص١٢٥٧).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/٣٢٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٨/ ٧٥)، (١٠/ ٣٠)، (١١/ ٤٤٣).

(٤) انظر: جامع البيان، ابن جرير(٢٤/٣٧٦)، تفسير ابن كثير (٧/٥٦٢)،

(٥) المحرر الوجيز، ابن عطية (١٠/٢٥٤).

(٦) التسهيل، ابن جزي (٤/٦٨٢).

الردع والإبطال: كلا القولين، لأنهما صادران عن تأويل باطل وشبهة ضالة... -ثم قال-: وحرف ﴿كَلَّا﴾ زجر عن قول الإنسان ﴿رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ عند حصول النعمة، وقوله: ﴿رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ عندما يناله تقتير، فهو ردع عن اعتقاد ذلك، فمناط الردع كلا القولين لأن كل قول منهما صادر عن تأول باطل، أي: ليست حالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا دليلا على منزلته عند الله تعالى.»[١].

ولا شك أن المؤمن ينزجر إذا زجره الله سبحانه، ويرتدع إذا ردعه عن قول أو فعل أو صفةٍ تنشأ عنها الأقوال أو الأفعال التي لا يرضاها سبحانه، وهذا من مقتضى الاستسلام لله ﷻ؛ أما أهل الجهالة فهم بمعزل عن إدراك شأن الله تعالى في معاملة الناس في هذا العالم[٢].

وأما خارج هذا السياق فقد هذب الله تعالى هذه الصفة بالأمر بضدها الرافع لها، وأعظم ذلك الأمر بالعلم الذي يقود الإنسان إلى الإيمان والتقوى، فكل آية فيها الثناء والتنويه بشأن العلم، تتضمن الإزراء بالجهل والتحذير منه، لأنهما ضدان لا يجتمعان، قال ابن تيميه -رحمه الله- «والإنسان خُلق ظلوما جهولا، فالأصل فيه عدم العلم، وميله إلى ما يهواه من الشر، **فيحتاج دائما إلى علم مفصل** يزول به جهله... فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل، كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم»[٣]، وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: «المؤمن يمنعه إيمانه عن الظلم، **ويمنعه إيمانه عن السفه** والغي»[٤].

والأمر بالإيمان والتقوى متضمن للأمر بالعلم لأنهما لا يتحققان إلا به، فإذا حصّل الإنسان العلم أثمر الإيمان والتقوى والإخبات، وتهذبت أخلاقه وحسن حاله وصلحت أعماله، قال تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾ {الحج:٥٤}، فذكر العلم ثم الإيمان ثم الإخبات ثم الهداية، ورتبها سبحانه ترتيب السبب والمسبب، أو ترتيب العمل وثمراته الناتجة عنه.

وقد أزرى الله سبحانه بحال أهل الجهل حينما أمر نبيه ﷺ بالإعراض عن الجاهلين فقال:

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٣٣١-٣٢٥).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٣٣١-٣٢٥).

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤/ ٣٨).

(٤) تفسير سورة الأحزاب، ابن عثيمين (ص٥٣٦).

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ {الأعراف:١٩٩} فهذه الآية وإن كان فيها أمر للنبي ﷺ بأن يأخذ من ما عفا من أخلاق الناس وما سمحت به طبائعهم، وترشد إلى ترك للتشدد في التعامل معهم، وعدم مقابلة سفههم بمثله(١)، إلا أنها تتضمن الإشارة إلى أن الجهل حالة مزرية، وخُلق ذميم، حقّه أن يُعرض عن صاحبه.

ومن ذلك أن أنبياء الله عليهم السلام استعاذوا بالله من جال الجاهلين، كما قال سبحانه عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٦٧﴾ {البقرة:٦٧}، وحذر سبحانه أنبياءه ووعظهم أن يكونوا منهم كما قال سبحانه عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾ {هود:٤٦}، ونهى الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يكون منهم فقال: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٥﴾ {الأنعام:٣٥}.

كذلك مما يهذب صفة الجهل وينفر منها أن يعلم الإنسان أن الجهل من أعظم أسباب الوقوع في المخالفات والموبقات، والزيغ عن الصراط المستقيم، والوقوع في الشرك فضلاً عما دونه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤﴾ {الزمر:٦٤}، فبين أن عبادة غير الله سبيل الجاهلين، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧﴾ {النساء:١٧} فقد أجمع السلف على أن كل من عصى الله فهو جاهل، روى ابن جرير عن أبي العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: «كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة»، وعن قتادة أنه قال: «اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عصى به فهو جهالة، عمدا كان أو غيره»(٢).

ولخطورة الجهل جعل الله المنة بالعلم من أعظم المنن، قال مقاتل بن سليمان –رحمه الله–: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ فعلمكم بعد ذلك الجهل ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ {النحل:٧٨} لعلكم تشكرون رب هذه النعم–

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي (١٥/٤٣٤)، تفسير ابن كثير، (٤/١٤١).

(٢) رواهما ابن جرير في جامع البيان (٦/ ٥٠٧).

تعالى ذكره- في حسن خلقكم»[1].

وإشادته بأهل العلم في كثير من الآيات دليل على قبح الجهل، فالضد يظهر حسنه الضد، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ {آل عمران:١٨}، وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ {الزمر:٩}، ففي آية آل عمران أشهد الله سبحانه أهل العلم على أعظم مشهود به، وهو توحيده، وقرن شهادة أهل العلم بشهادته وشهادة الملائكة، وما ذاك إلا لعظيم مكانتهم[2]؛ وفي آية الزمر أثنى على حال أهل القنوت وشدة الرغبة والرهبة، ثم نوّه بالسبب الحامل على ذلك، وهو العلم، فهؤلاء المثنى عليهم في الآية قد حملهم علمهم على طول القيام، وكثرة اللجوء والتضرع إلى الله سبحانه، فحالهم لا يستوي مع حال ضدهم وهم أهل الجهل والغفلة.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٨٠).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/١٣١).

المبحث الرابع: صفة الخصومة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ {البقرة:٢٠٤}.

والشاهد: وصف الإنسان بشدة الخصومة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الخصومة، وبيان حكم القرآن عليها.

الخصومة –لغةً–: الجدل والمغالبة والمنازعة، والخصومة: الاسم من التخاصم والاختصام، ويقال لجانب الشيء وناحيته: خُصْم، ومنه: خُصم الراوية والعِدل، أي جانبه الذي فيه العروة، ورجل خَصِم: جَدِل، والخَصْم يطلق على الاثنين والجمع والمؤنث، كما قال ذو الرمّة:

أبرُّ على الخصوم فليس خَصْمٌ ولا خصمان يغلبه جدالا[١]

فأفرد وثنّى وجمع في بيت واحد[٢].

معنى الخصومة في القرآن: لا يختلف معنى الخصومة في القرآن عنه في اللغة، وذكر الراغب أن أصل المخاصمة: أن يتعلق كل واحد بخُصْم الآخر، أي: جانبه[٣]؛ أو لأن المخاصم يميل ويذهب في ناحية، وخصمه في ناحية أخرى[٤]، وفي القرآن: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٤﴾﴾ {النحل:٤} والخصيم كثير المخاصمة، والخَصِم: المختص بالخصومة، كما قال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ {الزخرف:٥٨}.

إذن: يدور معنى هذه الصفة: على تحيز الشيء في جانبٍ، وما يقابله في جانب آخر مناظرٍ له، وقد يشتمل على معنى المعاندة والمنادّة والمجادلة[٥]، بل ربما اشتمل على التعمق في البحث عن الشيء والمضايقة فيه، لكي يغلب صاحبه[٦].

---

(١) انظر: ديوان ذي الرمة، بشرح أبي نصر الباهلي (٣/ ١٥٤٥)

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري(٧/١٥٤)، لسان العرب، ابن منظور (١٥/٧٠) مادة: خصم.

(٣) انظر: مفردات القرآن، الراغب (ص٢٨٤) مادة: خصم.

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري(٧/١٥٤) مادة: خصم.

(٥) انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/٥٧٤) مادة: خصم.

(٦) انظر: البسيط، الواحدي (٤/٧٦).

وقد جاء وصف الإنسان بهذا في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ {البقرة:٢٠٤}.

قيل: إنها نزلت في منافق معين، وقيل: في كل منافق[١]، وأياً ما كان، فالعبرة بعموم اللفظ لا في خصوص السبب، ولذا يقول محمد بن كعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الآية تنزل في الرجل، ثم تكون عامة بعد»[٢]، ونقل الرازي –رحمه الله– أن هذه الآية عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة، وأن هذا اختيار أكثر المحققين من المفسرين[٣].

وفيها يخبر الله تعالى –موبخاً من كانت هذه صفته– أنه يوجد من الناس من يتكلم بلسانه، ويخالف ذلك بأفعاله، فهو إذا تكلم أعجب السامع لحسن كلامه، وجميل نظامه، وإذا نطق صدقه من يسمعه، لكونه أضاف إلى ذلك أنه يشهد الله على ما في قلبه أنه موافق لظاهر لفظه، وهو كاذب في ذلك، فإنه منافق يبطن الكفر والشر، ويظهر الإسلام والخير، كما أنه مِنْ صفته: أنه ألد الخصام، أي: شديد اللدد كثير الخصومة، والألد: في اللغة: الأعوج، وهكذا حال المنافق في حال خصومته، فهو يكذب ويميل ويروغ عن الحق ولا يستقيم معه، بل يفتري ويجور ويكذب؛ وإنما سمي الشديد الخصومة ألد، اشتقاقا من لديدي الإنسان وهما جانبا الفم، لأن المخاصم لك كلما أخذت في جانب أخذ في آخر من الجدال[٤].

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقصٍ جبلية مذمومة؛ فالإنسان بطبعه يميل إلى الخصومة، ويكثر الجدال والمنازعة والمدافعة عن رأيه، إلا من وفقه الله وعصمه، وهداه للانقياد والاستجابة للحق، وقليل ما هم، كما تقدم النقل عن الرازي.

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الخصومة:

هذب الله تعالى هذه الصفة هنا في هذا السياق بالأمر بالتقوى، لأنه أخبر أنها هي الموعظة التي وُعظ بها هذا الألد الخَصِم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ

(١) انظر: أسباب النزول، الواحدي (ص٦٥).

(٢) رواه ابن جرير في جامع البيان (٣/٥٧٤).

(٣) التفسير الكبير، الرازي (٥/ ٣٤٤)

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢/١٢٨)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص١٧٤)، عمدة الحفاظ، السمين (٤/ ١٩)

﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ {البقرة:٢٠٦}، ولاشك أن التقوى من أعظم ما يهذب الصفات، ويحسن السلوك، لأن أصل التقوى: أن يجعل العبدُ بينَه وبينَ ما يخافُه ويحذره وقايةً تَقِيهِ منه[1]، وتقوى الله تعالى أن يتمثل العبدُ أوامره، ويجتنب نواهيه، وأن ينقاد لأمره، ويُسَلِّم لحكمه، فلا يجادل ولا يعاند ولا يكابر، بل ينقاد ويسلم.

وكذلك أن يتأمل سياق الذم الذي سيقت فيه هذه الصفة، فكل صفة حذرنا الله منها أو من صاحبها دلّ على ذمّها ووجوب تطهير النفس عنها وتهذيبها منها، ففي هذه الآية تحذير من الاغترار بظاهر القول وما يبديه الرجل من حلاوة المنطق، وحسن الكلام، وجميل الخطاب، وأمرٌ بالاحتياط في أمر الدين والدنيا، حتى لا يقتصر على ظاهر أمر الإنسان خصوصاً فيمن هو ألد الخصام؛ ومن ظهرت منه دلائل الشك والريبة[2]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ أي: إذا خاصمته، وجدت فيه من اللدد والصعوبة والتعصب، وما يترتب على ذلك، ما هو من مقابح الصفات»[3]، وذكر ابن عثيمين من فوائد الآية: الإشارة إلى ذم الجدل، والخصام؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾؛ لأن الخصومات في الغالب لا يكون فيها بركة، كما أن هذا الإنسان الموصوف بهذه الصفات يأنف أن يؤمر بتقوى الله[4]، ولعل ذلك -والله أعلم- بسبب أن الطباع السيئة تتوالد، ويقود صغيرها إلى كبيرها، وكل سيئة تقول أختي أختي، ثم إن هذا الطبع سيحمل صاحبه على الظلم ولا بد، كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والظالم يكون ظالما بترك ما تبين له من الحق، واتباع ما تبين له أنه باطل، والكلام بلا علم فإذا ظهر له الحق فَعَنَدَ عنه كان ظالماً، وذلك مثل الألد في الخصام قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ {البقرة:٢٠٤}»[5]، فانظر شؤم هذا الطبع، وخبث هذه السجية، وما تؤول إليه.

(١) جامع العلوم، ابن رجب (ص٢٩٥).
(٢) انظر: أحكام القرآن، الجصاص (٣٨٤/١)، تفسير الفاتحة والبقرة، ابن عثيمين (٤٤٤/٢).
(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي
(٤) تفسير الفاتحة والبقرة، ابن عثيمين (٤٤٤/٢، ٤٤٨)
(٥) الجواب الصحيح، ابن تيمية (٣/ ٧٣).

ووصف الله تعالى الإنسان بالخصيم في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ {النحل:٤} وفي قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ {يس:٧٧} . ومعنى الآيتين عند كثير من المفسرين واحد، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمعنى: أنه مخلوق من نطفة، وهو مع ذلك يخاصم وينكر البعث، أفلا يستدل بأوله على آخره، وأن من قدر على إيجاده أولاً، يقدر على إعادته ثانيا؟! وفية تنبيه على إنعام الله عليه حين نقله من حال ضعف النطفة إلى القوّة التي أمكنه معها الخصام»(١) وهذه النعم تستوجب الشكر لا الكفر، وتستوجب التسليم والانقياد لا المكابرة والعناد، وهو قد خُلق عبداً لا ضداً(٢)، وقد جاء في سياق الموضعين ما يهذب هذه الصفة، أما في آية النحل فبتذكيره بكثرة نعم الله تعالى عليه، وسورة النحل تسمى سورة النعم، لما عدد الله تعالى فيها من نعمه على عباده(٣)، ومما استقر في قلوب العقلاء أن مقابلة النعم بالخصومة والجدال لا يليق بأصحاب الخصال الحميدة، والشيم المجيدة، بل هو من دأب اللئام لا الكرام، وإذا كان هذا شأنه فحري بالمسلم أن ينأى بنفسه عنه، ويطهر أخلاقه وطباعه منه.

وأما في سياق آية يس فهذبها الله تعالى بذكر دلائل قدرته جَلَّ جَلَالُهُ، فلما بيّن عجز الإنسان وضعف خلقه بيّن كمال قدرته، وعظيم صنعته، فقال بعدها سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ وكل آية فيها من القوارع والزواجر ما يزلزل القلوب، ويخيف النفوس، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «نبّه تعالى على وحدانيته، ودلّ على كمال قدرته في إحياء الموتى بما يشاهدونه من إحراج المحرق اليابس من العود

(١) زاد المسير، ابن الجوزي (٢/ ٥٥٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٦٦٨).

(٣) أحكام القرآن، ابن الفرس (٣/ ٢٤١).

الندي الرطب»[١]، وتأمل هذا الترقي في الخطاب، كيف نبّه الله تعالى هذا المجادل المخاصم على عظيم ضعفه، وعظيم قدرة الله تعالى عليه، وكيف صرّف له الأمثال، ونوّع له في الأدلة، فذكر ابتداء خلقه، وذكر قدرته على تحويل الأخضر الرطب باراً محرقة، ثم ارتقى إلى أبدع وأعظم من ذل وهو خلق السموات والأرض التي هي أعظم من خلق الناس، وكذلك نبهه إلى سرعة استجابة الخلق لأمره بالتكوين، فمنذ أن يقول للشيء كن، إذا هو كائن في الوجود، ثم نزّه نفسه سبحانه عن كل عجز وضعف، وأثنى على ذاته الكريمة بتمام الملك لكل شيء، وكمال التصرف فيه بكل شيء، ولاشك أن التدبر لهذه المعاني مما يحمل الإنسان على تهذيب أخلاقه، وتقويم سلوكه وطباعه، ويقوده على ترك الخصومة والجدال، والانقياد لأومار من هو بكل خلق عليم، يعلم كيفيات ما يخلق، لا يتعاظمه شيء من المنشآت والمعادات، جنساً ونوعاً، دقةً وجلالة، سبحانه وتعالى[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤٩١/١٧).

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (١٤٣/١٨).

المبحث الخامس: صفة الطغيان الواردة في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ {العلق:٦-٧}.

والشاهد منها: وصف الإنسان بالطغيان عند رؤية الاستغناء.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الطغيان، وبيان حكم القرآن عليها.

الطغيان –لغةً–: مجاوزة الحد، وخروج الشيء عن مقداره، وارتفاعه عنه، يقال: طغى السيل: إذا جاء بماء كثير؛ والاسم منه: طغيان، وطغوى.

إذن: يدور المعنى على التجاوز والارتفاع والاستعلاء حتى يغطي ويغشى ما حوله(١).

معنى **الطغيان في القرآن**: الإسراف ومجاوز الحد في العصيان، مع تكبر واستعلاء؛ لأن الطغيان: الاعتداء في حدود الأشياء ومقاديرها، والله سبحانه فرض الفرائض، وشرع الشرائع، وجعل حدوداً ومقادير، فإذا تجاوزها الإنسان فقد طغى(٢).

وقد جاء وصف الإنسان بهذا في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ {العلق:٦-٧} هاتان الآيتان من سورة العلق وهي أول سورة أنزلت على نبينا محمد ﷺ، وذُكر فيها خلق الإنسان، ومبدأ حياته، وامتنان الله تعالى عليه بالعلم؛ ثم أعقب ذلك بذكر صفة من صفاته الطبعية الجبلية.

وهذا فيه دليل على اعتناء القرآن بهذا الإنسان، واهتمامه بما يقوّم سلوكه، ويهذب طباعه الجبلية، وإرشاده إلى ما تتحقق به سعادته في الدنيا والآخرة، وتحذيره مما يكون به شقاؤه إن هو أعرض وتولى عن هذا القرآن، ولم يتبع الرسول ﷺ الذي أنزل عليه.

فقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ {العلق:٦-٧} أي: حقاً إن هذا الإنسان لعظيم جهله إذا رأى نفسه غنياً: طغى وتجبر وبغى ولم يتبع الهدى، ونسي أن مآله الرجوع إلى الله تعالى، ثم هو لم يخف الجزاء، بل ربما وصل به الحال أن يترك الهدى، ويدعو غيره إلى تركه، والعياذ

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/٤١٢)، لسان العرب، ابن منظور (١٩/٢٣١) مادة: طغى.

(٢) انظر: مفردات القرآن، الراغب (ص٥٢٠)، تاج العروس، الزبيدي (٦/٤٣٠) مادة: طغى.

بالله[١]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله»[٢].

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقصٍ جبلية مذمومة[٣]، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتعريف في (الإنسان) للجنس، أي: من طبع الإنسان أن يطغى إذا أحس من نفسه الاستغناء، واللام مفيدة الاستغراق العرفي، أي: أغلب الناس في ذلك الزمان إلا من عصمه خلقه أو دينه»[٤]؛ وقال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المراد أن نوع الإنسان من شأنه إذا فاز بمقصوده اغترَّ، وصار غافلاً عن عبادة الله تعالى، وتمرَّد على طاعته؛ كما قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ {العلق:٧} »[٥]، وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سعادة العبد في كمال افتقاره إلى ربه واحتياجه إليه، أي: في أن يشهد ذلك ويعرفه، ويتصف معه بموجب ذلك من الذل والخضوع والخشوع، وإلا فالخلق كلهم محتاجون، لكن يظن أحدُهم نوعَ استغناء فيطغى»[٦].

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الطغيان:

هذب الله تعالى هذه الصفة في هذا السياق بأمرين:

الأول: سباق الآية، والتي فيها الإشارة إلى صفة من صفات الله تعالى وهي الكرم، في قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣﴾ {العلق:٣} فيا أيها الإنسان: لا تنسَ أن ما بك من غنى فهو من كرم الله تعالى، وليس بكدك ولا جدك، ولا حولك ولا قوتك، ولو شاء سبحانه لسلب عنك هذا الغنى، وجعلك أفقر الناس، وإذا كان هذا شأن الله تعالى معك، فينبغي أن يكون شأنك التواضع والانقياد له سبحانه، وليس الطغيان والتكبر والعناد.

وكذلك مما يهذب هذه الصفة أن يسعى في رفع الجهل عن نفسه، فإن الجهل سبب للطغيان،

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص١٢٦٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٦٠٤).

(٣) اختاره ابن كثير والسعدي وغيرهم. انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٦٠٤)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص١٢٦٥).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٤٤٤).

(٥) التفسير الكبير، الرازي (٢١/٣٩٠).

(٦) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١/ ٥٠).

لذا ذكر الله تعالى امتنانه على الإنسان بأن علمه ما لم يعلم؛ فإذا تعلم الإنسان علماً أخروياً وكان مخلصاً لله تعالى فيه أعقب ذلك إخباتاً وطاعة، وإيماناً وتواضعاً، وسلم من خُلق الطغيان وغيره من سيء الأخلاق، كما قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ {الحج:٥٤}، فذكر ﷻ أن الإيمان والإخبات من ثمرات العلم.

الثاني: لحاق الآية، وهو الوعيد الشديد الوارد بعد هذه الآية إلى آخر السورة، فالله تعالى يُذَكِّر الإنسان المتصف بالطغيان أن إلى ربه الرجعى، وسوف يحاسبه على جميع أفعاله؛ قال ابن كثير: «تهدده وتوعده ووعظه فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ {العلق:٨} »[1]؛ كما توعد الله تعالى في آخر السورة أحد الطغاة، بقوله: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾، وهذه الآيات وإن كانت في طاغية معين (وهو أبو جهل لعنه الله)، إلا أن فيها تهديداً ووعيداً لكل من اتصف بصفته، وعمل بعمله أن يناله شيء من هذا الوعيد والنكال، لذا قال ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله»[2]؛ لأنهم اشتركوا في سبب الطغيان، فقول أبي جهل إنما هو ناشيء عن طغيانه بسبب غناه؛ كشأن الإنسان الذي سبق وصفه بأنه كثيراً ما يطغى إن رأى نفسه استغنى.

إذن: هذه الآيات فيها تهذيب لهذه الصفة وتحذير منها، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد بينت هذه الآيةُ حقيقةً نفسية عظيمة من الأخلاق وعلم النفس؛ ونبهت على الحذر من تغلغلها في النفس»[3].

وأما خارج هذا السياق فجاء التهذيب لهذه الصفة بالنهي الصريح عنها، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ {هود:١١٢} قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ يقول: ولا تعدوا أمره إلى ما نهاكم عنه، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ يقول: إن ربكم أيها الناس بما تعملون من الأعمال كلها؛ طاعتها ومعصيتها بصير: ذو علم بها،

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٦٠٤).

(٢) التسهيل، ابن جزي (٤/٧٢٤).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٤٤٥).

لا يخفى عليه منها شيء، وهو لجميعها مبصر، يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله أيها الناس، أن يطلع عليكم ربكم، وأنتم عاملون بخلاف أمره، فإنه ذو علم بما تعملون، وهو لكم بالمرصاد»(١)، وهذا فيه ترهيب وزجر ظاهر ووعيد شديد عن صفة الطغيان، وترغيب لسلوك الاستقامة، وترهيب من ضدها(٢).

كما أنه سبحانه نهى عن الطغيان لما أباح لعباده الطيبات فقال سبحانه: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١﴾ {طه:٨١}، فبيّن ﷻ أن الطغيان سبب لحلول غضب الله ﷻ، ومن ينزل به غضب الله ﷻ فقد هوى، أي: شقي وهلك وتردى في الهاوية(٣).

ومن أعظم ما يهذب النفس ويبعدها عن صفة الطغيان إخبار الله تعالى بأنه أعد جهنم للطاغين مآباً، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢﴾ {النبأ:٢٢} وقال: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦﴾ {ص:٥٥} {ص:٥٦} قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ وهم الخارجون عن طاعة الله، المخالفون لرسل الله صلى الله عليهم وسلم ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٖ﴾ أي: لسوء منقلب ومرجع؛ ثم فسره بقوله جل وعلا: ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا﴾ أي: يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦﴾ »(٤)، والجزاء من جنس العمل، لما طغوا وتجبروا وتجاوزوا الحد، جازاهم الله بجهنم التي تغمرهم من كل جانب، والعياذ بالله.

---

(١) جامع البيان، ابن جرير (١٢/ ٥٩٩).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص٥٥٢).

(٣) انظر: البسيط، الواحدي (١٤/٤٨٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣٣).

المبحث السادس: صفة الغرور الواردة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ {الانفطار:٦}.

والشاهد منها: الإنكار على الإنسان حال اتصافه بالغرور.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الغرور، وبيان حكم القرآن عليها.

الغرور –لغةً–: الخداع؛ يقال: غرّه غُروراً وغِرّة، أي: خده؛ واستغرّ: اغترّ؛ واستغرّ فلاناً وغرّه: أتاه على غِرّة وغفلة؛ والغرّة: غفلة في يقظة، ومنه: صبّحهم الجيش وهم غارّون، أي: غافلون[(١)].

معنى الغرور في القرآن: ذكر الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الغرور: كل ما يغرّ الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان؛ وأصل الغرور: ما دعا الإنسان إلى ارتكاب ما لا يليق[(٢)]، وقد فُسّر الغرور بالشيطان، لأنه أخبث الغارّين، وفُسر بالدنيا لأنها تغرّ وتضرّ[(٣)]، وهذه الأمور التي فُسر بها الغرور بينها تلازم ظاهر، وارتباط وثيق، وذلك أن الشيطان هو الذي يغر ابن آدم، وله مداخل عدة، فمنها المال ومنها الشهوة ومنها تزيين الدنيا في عينه، وكلها تلحق الضرر به، لذا قيل إن الغرر: هو الخطر[(٤)]، ومن لطيف ما في هذا اللفظة ما ذكره ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أن أصل (الغر) هو الكسر في الثوب[(٥)]؛ وما ذكره د. محمد جبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أن (غرّ) فيه معنى الغؤور والدخول بامتداد ودقة، ويلزمه اللصوق والتغطية، ومنه تسمية الغار والمغارة في الجبل[(٦)]، فإذا جُمعت هذه المعاني مع ما فُسّر به (الغرور) في القرآن =تبيّن –والله أعلم– أن الغرور يكون بامتداد وتدرج، ويتسلل إلى الإنسان من نقص وكسر في جبلته وطبعه، حتى يلتصق به ويغطيه ويوقعه في الخطر، إن لم يتداركه الله برحمةٍ منه وفضل.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (٣١٤/٦)، أساس البلاغة، الزمخشري (١٦٠/٢)، مفردات القرآن، الراغب (ص٦٠٣) مادة: غرر.

(٢) انظر: حاشية الشهاب على البيضاوي، الشهاب (٣٣٣/٨).

(٣) انظر: مفردات القرآن، الراغب (ص٦٠٤) مادة: غرر.

(٤) انظر: تاج العروس، الزبيدي (٧٠٥/٧)، أساس البلاغة (١٦٠/٢) مادة: غرر.

(٥) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣٨٠/٤) مادة: غرر.

(٦) انظر: المعجم الاشتقاقي (١٦١١/٣) مادة: غرر.

وقد جاء وصف الإنسان بهذا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾ {الانفطار:٦} أي: ما الذي خدعك وسوّل لك حتى أَضَعْتَ ما أوجب الله تعالى عليك؟![1]؛ وما الذي حملك على معصيته، والأمن من عقابه، فزيّن لك المعاصي والأماني الكاذبة فارتكبت الكبائر، ولم تخفه وأمنت عذابه؟! وهذا توبيخ وتبكيت للعبد الذي يأمن مكر الله ولا يخافه؛ لأن هذا الغرور حَمَله على الجرأة على الله تعالى، فاقتحم المعاصي والمنكرات، وفرّط في الفرائض والواجبات؛ وهذا يفسر قول من قال: إن معناها: كيف اجترأت على الله تعالى؟! وأن الآية عتاب في حق المجترئ على معاصيه[2].

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقصٍ جبلية مذمومة؛ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا لجميع الناس»[3].

وآية الانفطار وإن قيل: إنها نزلت في كافر معين[4]؛ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويؤيده العموم السابق واللاحق للآية، ففي قوله: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾ {الانفطار:٥} إفادةٌ للعموم، كما قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فائدة: وربَّما أفادت النكرةُ في سياق الإثبات العمومَ بمجرَّد دلالة السياق، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ {التكوير:١٤} ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾ {الانفطار:٥}، بدليل قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ﴾ {يونس:٣٠}»[5]؛ وكذا الالتفات -في آخر الآيات- من الإفراد إلى الجمع يستأنس به في إفادة العموم كما في قوله: ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩﴾ {الانفطار:٩} الآيات، ولذا ذكر الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن لفظ الإنسان هنا متناول لجميع العُصاة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وهو الأقرب؛ لأن خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ. وقلت: والنظم يساعد عليه، وذلك أن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ إلى قوله:

---

(١) انظر: معاني القرآن، الزجاج (٥/٢٢٨)، معالم التنزيل، البغوي (٤/٥٦٧).

(٢) نقله الزجاج في معاني القرآن (٥/٢٢٨) عن الأصمعي. وانظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص١٢٤٥).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٣/٢٧٧).

(٤) قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل: في الأسود بن شريق. انظر: معالم التنزيل، البغوي (٤/٥٦٧).

(٥) مذكرة أصول الفقه، الشنقيطي (ص٣٢٤).

﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾ [الانفطار:١٢] كالاعتراض بين قرينتي الجمع والتقسيم»[١].

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الغرور:

هذب الله تعالى هذه الصفة في هذا السياق بأمورٍ منها: ذكر اسمين من أسماء الله تعالى الحسنى، وهي الرب، والكريم، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾ [الانفطار:٦]، فالرب هو الذي خلق هذا الإنسان، ورباه بنعمه، وأسبغ عليه جوده وإحسانه، والكريم هو الذي أكرمه بنعم لا تعد ولا تحصى، سواء أكانت دينية أم دنيوية؟ وسواء أكانت خَلْقية أم خُلُقية؛ ووقعت الإشارة إليها بعد ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧﴾ [الانفطار:٧] إلخ؛ وهذه التربية، وهذا الإكرام داعٍ إلى الشكر والاعتراف بالفضل والامتنان، ولا يليق معه الغرور والكفر والعصيان، قال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذكر (الكريم) للمبالغة في المنع عن الاغترار... والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته، لا الانهماك في عصيانه، اغتراراً بكرمه»[٢]، وقال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتعرض لعنوان كرمه تعالى دون قهره سبحانه، من صفات الجلال المانعةِ ملاحظتُها عن الاغترار، للإيذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مداراً لاغتراره... بل هو مما يوجب المبالغة في الإقبال على الإيمان والطاعة»[٣]، ولعل هذا -والله أعلم- من أسباب العدول عن صفة الانتقام والقهر هنا إلى صفة الكرم، كما بيّنه الشهاب الخفاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]؛ وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾ [الانفطار:٦] «أليس هو الذي خلقك فسواك في أحسن تقويم؟ فعدلك وركبك تركيبا قويما معتدلا في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟»[٥]، ولكن الإنسان يغره جهله، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «غرّه -والله- جهله»[٦]، وتُسوّل له نفسه، ويغره الشيطان

(١) فتوح الغيب، الطيبي (١٦/ ٣٢٥).
(٢) أنوار التنزيل (مع حاشية الشهاب)، البيضاوي (٨/٣٣٣).
(٣) روح المعاني، الآلوسي (١٤/٢٦٩).
(٤) أنوار التنزيل (مع حاشية الشهاب)، البيضاوي (٨/٣٣٣).
(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص١٢٤٥).
(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٤٠٨)

بأمانيه فيوقعه في العصيان.

ومما يهذب هذا الإنسان المغرور: الردع والزجر في لفظ (كلا) الواقع بعد هذه الآية في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩﴾ قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّا﴾ ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به، وهو موجب الشكر والطاعة، إلى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية»(١)، وقال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله»(٢).

ومما هذّب الله تعالى به هذه الصفة: الوعيد الوارد في آخر السورة، في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ أي: ما تفعلون من الخير والشر، فيكتبون ذلك كله، ويعلمونه، وهذا العلم يقتضي المجازاة على العمل يوم الحساب، قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «يوم شدة، يوم يدين الله العباد بأعمالهم»(٣)؛ ولاشك أن من تذكر أن وراءه حساباً دقيقاً ويوماً شديداً، ورزقه البصيرة والهدى فسيسعى لتهذيب أخلاقه، وتقويم سلوكه، بما ينجيه من ذلك الحساب. نسأل الله السلامة والعافية.

وأما التهذيب الوارد خارج هذا السياق، فقد جاء في مواضع، منها النهي الصريح في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٣٣﴾ {لقمان:٣٣} وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٥﴾ {فاطر:٥}

وقد تقدم أن الغرور كل ما يغرّ الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان، وأصل الغرور ما دعا الإنسان إلى ارتكاب ما لا يليق(٤)، فجاء في هذه الآية أشمل تحذير من صفة الغرور وأسبابه ورأسه الذي هو الشيطان، وفي كلا الآيتين تذكير بيوم الحساب وأنه وعد حق لا يتغير ولا يتبدل، وفيه يُسأل الإنسان عن كل صغيرة وكبيرة، وتُسأل كل نفس عما قدمت وأخرت من أعمال، ولا نجاة له حينها إلا بالتقوى لذا افتتح الله تعالى الآية بالأمر بها، وجعلها موطئة لما يأتي بعدها فقال:

---

(١) الكشاف، الزمخشري (٥٣٧/٤).

(٢) أنوار التنزيل(مع حاشية الشهاب)، البيضاوي (٣٣٤/٨).

(٣) رواه ابن جرير في جامع البيان (١٨١/٢٤).

(٤) انظر: حاشية الشهاب على البيضاوي، الشهاب (٣٣٣/٨).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ وختمها بالنهي عن الغرور فقال: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ فتبين أن التقوى من أعظم وسائل تهذيب النفس وتنقيتها من الأخلاط الرديئة، والصفات السيئة، ومنها صفة الغرور.

وإذا استحضرنا اشتقاق لفظ الغرور المتقدم ذكره، وأنه من (غرّ) الذي فيه معنى الغؤور والدخول بامتداد ودقة، تبيّن لنا وجهٌ من أوجه التحذير من اتباع خطوات الشيطان الذي هو الغرور، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ {البقرة:١٦٨}، فصفة الغرور تتسلل إلى نفس الإنسان بتدرج، والشيطان يوقع الإنسان في الزلل بخطوات، فإذا امتثل الإنسان أمر ربه، وكان على حذر من اتباع خطوات الشيطان، نجا بإذن الله تعالى من الوقوع في الغرور، وتهذبت نفسه وابتعدت عن الاتصاف بهذه الصفة المذمومة.

ومما هذب الله تعالى به هذه الصفة ما قصه الله علينا من مهالك المغرورين، وسوء عاقبتهم، فذكر لنا –على سبيل المثال– قصة قارون، وكيف قاده غروره إلى أن جحد نعم الله تعالى عليه، وتكبر في الأرض بغير الحق، فكانت عاقبته أن خسف الله به وبداره الأرض، قال تعالى: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ {القصص:٨١} .

وكذلك لما بيّن لنا تعالى الاقتران بين الغرور والافتراء على الله تعالى فقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ {آل عمران:٢٤} ثم توعدهم على غرورهم وافترائهم فقال: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ {آل عمران:٢٥} أي: حينها سيجازيهم على أعمالهم، ويحاسبهم على ما كسبت نفوسهم. نسأل الله العافية.

المبحث السابع: صفة الفجور الواردة في قوله تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾ {القيامة:٥}.

والشاهد منها: وصف الإنسان بإرادة الفجور واستمراره على ذلك.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بصفة الفجور، وبيان حكم القرآن عليها.

الفجور –لغةً–: من الفَجْر وهو الشق والتفتح في الشيء، ثم كثر هذا الاستعمال حتى صار يطلق على الانبعاث والمضي في المعاصي والزنى وركوب كل أمر قبيح؛ وفَجَر الرجل: فَسَق وكذّب وعصى وخالف؛ ويقال: فَجَر عن الحق، أي: عدل عنه ومال[١].

معنى **الفجور في القرآن:** هو على نحو ما تقدم من معناه في اللغة، لذا قال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفجور: شق سِتر الديانة»[٢]، وقال الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفجور: هو هيئة حاصلة للنفس بها يباشر أمور على خلاف الشرع والمروءة»[٣]، ومن أجمع التعاريف ما قاله ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفجور: يطلق على الميل إلى الفساد، وعلى الانبعاث في المعاصي، وهو اسم جامع لكل شر»[٤].

وقد جاء وصف الإنسان بهذا في قوله تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥﴾ {القيامة:٥} أي: يريد الحياةَ ليتعاطى الفجورَ فيها، ويتمادى في الذنوب، وإنما وقع ذلك منه لأن إرادته التكذيب بما أمامه من الحساب والبعث والنشور[٥]؛ والتكذيب نوع من الفجور، وقيل: يفجر أمامه: يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول: سوف أتوب، سوف أتوب؛ ويؤمل العيش في الدنيا، وإصابة النعيم فيها، فيمضي قُدماً في المعاصي ولا ينزع عن الفجور،[٦].

وحكم القرآن عليها: بأنها صفة نقصٍ جبلية مذمومة، كما هو ظاهر من السياق؛ قال الحسن البصري وقتادة رحمهما الله: «لا تلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قُدماً، قدماً، إلا من قد عصم الله»[٧]، ولفظ الفجور، يطلق على كل ميل وعدول عن الحق، فيشمل التسويف

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/٤٧٥)، تاج العروس، الزبيدي (٨/٣٥) مادة: فجر.

(٢) مفردات القرآن، الراغب (ص٦٢٦) مادة: فجر.

(٣) التعريفات، الجرجاني (ص١٦٥)

(٤) فتح الباري، ابن حجر (١٠/٥٠٨).

(٥) انظر: مفردات القرآن، الراغب (ص٦٢٦)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص١٢٢٧).

(٦) انظر: جامع البيان، ابن جرير(٢٣/٤٧٥).

(٧) رواه عنهما ابن جرير في جامع البيان (٢٣/٤٧٥).

في التوبة والكذب في اليمين، كما يشمل التكذيب بالبعث والنشور، فإن سلم الإنسان من الثاني لم يسلم من الأول، فكل بني آدم خطّاء، يغره ويضر به التسويف وطول الأمل ونحو ذلك، وهذه الصفة عامة في كل إنسان؛ لذا ذكر الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا هو ما يقتضيه كلام كثير من السلف، وذلك لكونه ظاهراً في عموم الفجور[1].

المطلب الثاني: تهذيب القرآن لصفة الفجور:

هذب الله تعالى صفة الفجور بأمورٍ ظاهرة في السياق، سباقاً كان أم لحاقاً.

أما السباق فهو المقدمة التي قُدمت بين يدي وصف الإنسان بالفجور، ألا وهي الآية التي أقسم الله فيها بالنفس اللوامة، فقال سبحانه: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾ {القيامة:٢}، أي: التي تلوم صاحبها على الخير والشر، فإن كان خيراً تلومه لـِمَ لم يتزود منه، وإن كان شراً لـِمَ عمله، فهي دائماً في ندمٍ على ما فات[2]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي جميع النفوس الخَيِّرة والفاجرة، سميت لوامة لكثرة ترددها وتلوّمها وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها، ولأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت، بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا على ما حصل منه، من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق، أو غفلة، فجمع بين الإقسام بالجزاء، وعلى الجزاء، وبين مستحق الجزاء»[3]؛ فإذا علم الإنسان أن نفسه ستلومه على الفجور -لامحالة- وسيندم عليه أشد الندم، قاده ذلك إلى أن يتخلص منه، ويهذب طباعه المشتملة عليه.

وكذلك هذبها الله تعالى بذكر بعض مظاهر قدرته جَلَّ جَلَالُهُ، التي توجب الوجل والخوف الشديد للإنسان، وبالتوبيخ والتقريع له فقال سبحانه: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤﴾، فهذا الكلام فيه توعد، كما قاله ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4].

ثم إن مجيء وصفه بالفجور بعدها بقوله: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥﴾ {القيامة:٥}، في غاية البلاغة، من جهة أن لفظ الإنسان أعيد هنا مُظهراً في مقام الإضمار، لأن المقام مقام تقريع

(١) انظر: روح المعاني، الآلوسي (١٤/ ٢١٢).
(٢) انظر: جامع البيان، ابن جرير(٢٣/ ٤٦٩)، تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٢).
(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص١٢٢٧).
(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١٠/ ٣٣).

وتعجب من أفعاله؛ ولذا كُرر لفظ الإنسان في هذه السورة خمس مرات[1].

وكذلك الإتيان بـ(بل) التي تفيد الاضراب والانتقال إلى ذكر حال آخر من أحوال فجور الإنسان، أي: فواعجباً لهذا الإنسان، يحسب ألن نجمع عظامه، بل فوق هذا الحسبان يريد أن يفجر أمامه، والإرادة فوق الحسبان، فكأنه يريد أن يجمع كل إرادته للفجور، بل يريد أن يوقع جميع إرادته ليفجر أمامه، فإتيان (بل) في هذا الموقع في غاية الحسن -كما ذكره الآلوسي-، فهو إضراب وانتقال من إنكار الحسبان إلى الإخبار عن حال الإنسان، بأمرٍ هو أشد لوماً وتوبيخاً عليه، فكأن معنفاً ومعاتباً يلوم هذا الإنسان على حسبانه ألن يُجمع عظامه، فقيل لهذه المعاتب: دع عنك تعنيفه وعتابه، فإنه أتى بأمر أفظع من هذا الحسبان، إنه يريد أن يفجر أمامه!! فصار في الكلام ترقٍ في الإنكار عليه[2].

ثم يستمر السياق في تهذيب هذه الصفة، وموعظة هذا الإنسان المتصف بها، وزجره أشد الزجر، بذكر قوارع تشيب منها مفارق الولدان؛ فمنها:

ذِكرُ مشاهد يوم القيامة وما فيه من أهوال عظام، وأحداث جسام، في العالم العلوي الذي هو أكبر خلقاً، من خلق الإنسان، ومع ذلك سيغيره الله سبحانه ويبدله تبديلاً، فقال سبحانه: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ فيا أيها الإنسان المتمادي في الفجور، سترى من الأهوال ما يزلزل القلوب حتى تتساءل حينها عن المفر الذي تفر عليه، ليأتيك الجواب: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾، أليس في هذا التقريع تهذيب لهذا الإنسان وأيما تهذيب؟!

ثم تستمر الآيات بنزولها على قلبه كالصواعق إلى نهاية السورة، وفيها يُذَكّر الله تعالى هذا الإنسان بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ {القيامة:٣٦} كلا، إنه لن يترك، بل سيبعث ويحاسب ويجازى على أعماله كلها، ويُسأل عنها، فحريٌّ به أن يُعد العدة، ويأخذ الأهبة، وليُعدّ للسؤال جواباً، وللجواب صواباً، لعله أن ينجو.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/٣٤٢).

(٢) انظر: روح المعاني، الآلوسي (١٤/٢١٢).

فلا شك أن آيات السورة كلها تهذيب للإنسان، بدليل تكرر لفظ (الإنسان) فيها، وإيقاعه مُظهراً في مقام الإضمار، وقد نبّه الله تعالى هذا الإنسان إلى طبيعة نفسه اللوامة، وإلى شدة حاجتها إلى من يعرّفها الخير والشر، ويدلها عليه، ويرشدها إليه، ويلهمها إياه؛ فيجعلها مريدة للخير، مؤثرة له، كارهة للشر، مجانبة له، لتتخلص من هذا اللوم، وأيضا لتسلم من سوء عاقبة ما تلام عليه، كما يقوله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]. والله تعالى أعلم.

وأما التهذيب الوارد خارج هذا السياق فجاء في عدة مواضع، منها نفي المساواة في العاجل والآجل بين حال أهل التقوى وأهل الفجور؛ والمقارنة بين شيئين لإثبات حسن أحدهما وقبح الآخر معروف في لغة العرب، وقد قال سبحانه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ {ص:٢٨}، والجواب: كلا، لكن يكونوا سواء لا في الحياة ولا بعد الممات، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ {الجاثية:٢١} .

كما بيّن الله تعالى مآل الأبرار ومآل الفجار، ترغيباً في الحال الأولى، وترهيباً من الحال الثانية فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ {الانفطار:١٤} قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفجار الذين قصروا في حقوق الله وحقوق عباده، الذين فجرت قلوبهم ففجرت أعمالهم، ﴿لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ أي: عذاب أليم، في دار الدنيا ودار البرزخ وفي دار القرار»[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ {المطففين:٧} عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في الآية، قال: «قد رَقَم اللهُ على الفُجّار ما هم عاملون في سِجِّين، فهو أسفل، والفُجّار منتهون إلى ما قد رَقَم الله عليهم، ورَقَم على الأبرار ما هم عاملون في عِلِّيّين، وهو فوق، فهم منتهون إلى ما قد رَقَم الله عليهم»[(٣)]؛ ومن سوء مآل أهل الفجور أيضاً أنهم يحشرون مع بعضهم البعض، فقد روى عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ {التكوير:٧} قال: «الصالح

---

(١) انظر: التبيان في أيمان القرآن، ابن القيم (ص٢٥)

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص١٢٤٦).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٣/١٥) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر

مع الصالح، والفاجر مع الفاجر»[١]، بل إن في مجرد تسميته وتلقيبه بالفجور عيباً وذماً له، كما يقول الماتريدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن في ذكر الفجور تعييرًا وتشيينًا؛ إذ هو اسم للتعيير خاصة»[٢]، فلا ترى أحد يحب أن يوصف بالفجور، وإن كان أبعد الناس عن الإيمان والتقوى.

ومما يهذب هذه الصفة وينفر عنها أن نوحاً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما دعا على قومه بالهلاك ذكر من مسوغات هذه الدعوة أنهم لن يلدوا إلا فاجراً كفاراً، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ {نوح:٢٧} فوجود الفجور سبب للدعوة بالهلاك، فعاقبته شر عاقبة، ومآله شر مآل، وفشوّه سبب للخراب والدمار، وأثره شر على العباد والبلاد، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اقشعرت الأرض وأظلمت السماء وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، وذهبت البركات وقلت الخيرات وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة»[٣].

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٣٩٧).

(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٣٣٩).

(٣) الفوائد، ابن القيم (ص٦٥)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له سبحانه على ما منّ به وتفضل من إتمام هذا البحث، فله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً؛ ثم إني قد خرجت منه بعدة نتائج وتوصيات على النحو الآتي:

أهم النتائج:

١. ظهر من خلال هذا البحث شدة عناية القرآن بتهذيب الأخلاق والصفات، مما يدل على أهميتها في حياة الناس.

٢. نبّه الله تعالى الإنسان إلى أنه قد خُلق على طبيعة وجبلّة يعتريها النقص، وتفرد الله سبحانه بالكمال ﷻ، فوجب على الإنسان أن يتلمس جوانب النقص في ذاته، ويسعى لسدد الخلل وإكمال النقص –حسب الطاقة البشرية–.

٣. بلغت الصفات التي دُرست في هذا البحث سبع صفات، وهي: الاستعجال والإعراض والجهل والخصومة والطغيان والغرور والفجور؛ وكلها صفات نقص جبلية مذمومة.

٤. جاء تهذيب جميع هذه الصفات في السياق نفسه، مما يدل على أهمية تدبر سياق الآيات، ودراسته والنظر في علائق الآيات بعضها ببعض، كما ورد تهذيبها في سياقات أخر ينبغي مراعاتها ودراستها.

٥. تنوّع تهذيب الله تعالى للإنسان على ما جُبل عليه من صفات، وجاء في سياق كل صفة ما يهذبها، فمنها ما هذّب بالنهي الصريح، ومنها ما هذب ببيان عاقبة أهلها، ومنها ما هذب بالوعيد الشديد، ومنها ما هذب بالمقارنة بين الصفة وضدها، ومآل كلٍّ منهما.

أهم التوصيات:

١. يوصي الباحث بزيادة دراسة صفات الإنسان التي أشار إليها القرآن، واستنباط تهذيبها.

٢. يوصي الباحث بدراسة صفات الإنسان الجبلية الواردة في السنة النبوية.

٣. يوصي الباحث باستقراء أنواع التهذيب الواردة في القرآن الكريم، التي تهذب الأخلاق والسلوك وتهذيب الصفات العارضة –غير الجبلية– في الإنسان.

٤. يوصف الباحث بدراسة صفات الإنسان الواردة بصيغة المصدر أو الواردة بصيغة المبالغة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المصادر والمراجع:

١. **أسباب النزول**، علي بن أحمد الواحدي، (م.ح)، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.

٢. **أساس البلاغة**، محمود بن عمر الزمخشري، (م.ح)، الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٣. **أحكام القرآن**، عبد المنعم بن عبد الرحيم (ابن الفرس)، (م.ح)، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٤. **أنوار التنزيل مع حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، (د.ط)، دار إحياء التراث – بيروت، (د.ت).

٥. **البحر المحيط**، محمد بن يوسف (أبو حيان)، (م.ح)، الرسالة العالمية – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

٦. **البسيط**، علي بن أحمد الواحدي، (م.ح)، جامعة الإمام – الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٧. **تاريخ مدينة دمشق**، علي بن الحسن (ابن عساكر)، (م.ح)، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٨. **تاج العروس**، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (م.ح)، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

٩. **تأويلات أهل السنة**، أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي، (م.ح)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١٠. **التبيان في أيمان القرآن**، محمد بن أبي بكر (ابن القيم)، (م.ح)، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

١١. **التعريفات**، علي بن محمد الجرجاني، (م.ح)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

١٢. **تفسير القرآن العزيز**، محمد بن عبد الله (ابن أبي زمنين)، (م.ح)، دار الفاروق الحديثة – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

١٣. **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر (ابن كثير)، (م.ح)، دار ابن جوزي – الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٤. **تفسير سورة الفاتحة والبقرة**، محمد بن صالح (ابن عثيمين)، (د.ط)، دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

١٥. **تفسير عبد الرزاق**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، (م.ح)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

١٦. **التفسير الكبير**، محمد بن عمر الرازي، (م.ح)، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

١٧. **التسهيل لعلوم التنزيل**، محمد بن أحمد (ابن جزي)، (م.ح)، دار طيبة الخضراء – مكة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

١٨. **التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين عبد الرؤوف بن علي المناوي، (م.ح)، عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

١٩. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد الأزهري، (م.ح)، (د.ن)، (د.ت).

٢٠. **تيسير الكريم الرحمن**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (م.ح)، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الثالثة، ٢٠٢٢م.

٢١. **التيسير في التفسير**، عمر بن محمد النسفي، (م.ح)، دار اللباب – إسطنبول، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

٢٢. **جامع البيان**، محمد بن جرير الطبري، (م.ح)، دار عالم الكتب – الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٢٣. **جامع العلوم والحكم**، عبد الرحمن بن أحمد (ابن رجب)، (م.ح)، دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٢٤. **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد القرطبي، (م.ح)، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٢٥. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية)، (م.ح)، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٢٦. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، محمد بن أبي بكر السيوطي، (م.ح)، مركز هجر – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٢٧. **دستور الأخلاق في القرآن**، محمد عبد الله دراز، (م.ح)، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٦م.

٢٨. **ديوان ذي الرُّمّة بشرح أبي نصر الباهلي**، غيلان بن عقبة العدوي (ذو الرمة)، (م.ح)، مؤسسة الإيمان – جدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٢٩. **روح المعاني**، محمود بن عبد الله الآلوسي، (م.ح)، المكتبة الوقفية – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٣٠. **روضة الناظر وجنة المناظر**، عبد الله بن أحمد (ابن قدامة)، (م.ح)، شركة إثراء المتون – الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٨م.

٣١. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، (م.ح)، دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٣٢. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري، (م.ح)، دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٣٣. **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، شهاب الدين أحمد بن يوسف الحلبي (السمين)، (م.ح)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٣٤. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، (م.ح)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٣٥. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي (ابن حجر)، (م.ح)، المكتبة السلفية – مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.

٣٦. **فتح القدير**، محمد بن علي الشوكاني، (م.ح)، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥م.

٣٧. **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، الحسين بن عبد الله الطيبي، (م.ح)، جائزة دبي الدولية – دبي، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

٣٨. **الفوائد**، محمد بن أبي بكر (ابن القيم)، (م.ح)، عطاءات العلم – الرياض، الطبعة الرابعة، ٢٠١٩م.

٣٩. **قواعد الترجيح عند المفسرين**، حسين بن علي الحربي، (د.ط)، دار القاسم – الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٤٠. **الكشاف**، محمود بن عمر الزمخشري، (م.ح)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٤١. **الكشف والبيان**، أحمد بن محمد الثعلبي، (م.ح)، دار التفسير – جدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

٤٢. **لسان العرب**، محمد بن مكرم (ابن منظور)، (د.ط)، المطبعة الأميرية – بولاق، ١٨٨٣م.

٤٣. **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية)، (م.ح)، (د.ن)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٤٤. **المحرر الوجيز**، عبد الحق بن عطية الأندلسي، (د.ط)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

٤٥. **مذكرة أصول الفقه**، محمد الأمين الشنقيطي، (م.ح)، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٤٦. **معالم التنزيل**، الحسين بن مسعود البغوي، (م.ح)، دار طيبة – الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

٤٧. **معاني القرآن**، إبراهيم بن السري الزجاج، (م.ح)، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٤٨. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس (ابن فارس)، (م.ح)، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٤٩. **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، محمد حسن جبل، (د.ط)، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٥٠. **مفردات القرآن**، الراغب الأصفهاني، (م.ح)، دار القلم – دمشق، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.

٥١. **نظم الدرر**، إبراهيم بن عمر البقاعي، (م.ح)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

٥٢. **البسيط**، علي بن أحمد الواحدي، (م.ح)، جامعة الإمام – الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

Romanized Sources (APA 7th Style)

1. **Al-Wāḥidī, ʻAlī ibn Aḥmad.** (1991). *Asbāb al-Nuzūl* ﴿The reasons for revelation﴾ (M.Ḥ., Ed.; 2nd ed.). Dār al-Iṣlāḥ.
2. **Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ʻUmar.** (2003). *Asās al-Balāghah* ﴿The foundation of eloquence﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Al-Hay'ah al-ʻĀmmah li-Quṣūr al-Thaqāfah.
3. **Ibn al-Faras, ʻAbd al-Munʻim ibn ʻAbd al-Raḥīm.** (2006). *Aḥkām al-Qur'ān* ﴿The rulings of the Qur'an﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār Ibn Ḥazm.
4. **Al-Bayḍāwī, Nāṣir al-Dīn ʻAbd Allāh ibn ʻUmar.** (n.d.). *Anwār al-Tanzīl wa-Asrār al-Ta'wīl maʻa Ḥāshiyat al-Shihāb* ﴿The lights of revelation and the secrets of interpretation with Shihāb's sub-commentary﴾. Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī.
5. **Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf.** (2015). *Al-Baḥr al-Muḥīṭ* ﴿The encompassing ocean﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Al-Risālah al-ʻĀlamiyyah.
6. **Al-Wāḥidī, ʻAlī ibn Aḥmad.** (2009). *Al-Basīṭ* ﴿The extensive commentary﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Jāmiʻat al-Imām.
7. **Ibn ʻAsākir, ʻAlī ibn al-Ḥasan.** (1995). *Tārīkh Madīnat Dimashq* ﴿History of the city of Damascus﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Fikr.
8. **Al-Zabīdī, Muḥammad Murtaḍā al-Ḥusaynī.** (2011). *Tāj al-ʻArūs min Jawāhir al-Qāmūs* ﴿The bride's crown from the pearls of the dictionary﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār Ṣādir.
9. **Al-Māturīdī, Abū Manṣūr Muḥammad ibn Maḥmūd.** (2005). *Ta'wīlāt Ahl al-Sunnah* ﴿Interpretations of the people of the Sunnah﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah.
10. **Ibn al-Qayyim, Muḥammad ibn Abī Bakr.** (2008). *Al-Tibyān fī Aymān al-Qur'ān* ﴿The clarification regarding the oaths of the Qur'an﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār ʻĀlam al-Fawā'id.
11. **Al-Jurjānī, ʻAlī ibn Muḥammad.** (1983). *Al-Taʻrīfāt* ﴿The definitions﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah.
12. **Ibn Abī Zamanīn, Muḥammad ibn ʻAbd Allāh.** (2002). *Tafsīr al-Qur'ān al-ʻAzīz* ﴿Interpretation of the mighty Qur'an﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Fārūq al-Ḥadīthah.
13. **Ibn Kathīr, Ismāʻīl ibn ʻUmar.** (2010). *Tafsīr al-Qur'ān al-ʻAẓīm* ﴿Interpretation of the great Qur'an﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār Ibn al-Jawzī.
14. **Ibn ʻUthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ.** (2002). *Tafsīr Sūrat al-Fātiḥah wa-al-Baqarah* ﴿Interpretation of Surah Al-Fatiha and Al-Baqarah﴾ (1st ed.). Dār Ibn al-Jawzī.

15. **Al-Ṣanʻānī, Abū Bakr ʻAbd al-Razzāq ibn Hammām.** (1999). *Tafsīr ʻAbd al-Razzāq* ﴿Interpretation of Abd al-Razzaq﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah.
16. **Al-Rāzī, Muḥammad ibn ʻUmar.** (2008). *Al-Tafsīr al-Kabīr (Mafātīḥ al-Ghayb)* ﴿The great interpretation﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī.
17. **Ibn Juzayy, Muḥammad ibn Aḥmad.** (2018). *Al-Tashīl li-ʻUlūm al-Tanzīl* ﴿The facilitation for the sciences of revelation﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār Ṭaybah al-Khaḍrāʼ.
18. **Al-Munāwī, Zayn al-Dīn ʻAbd al-Raʼūf ibn ʻAlī.** (1990). *Al-Tawqīf ʻalā Muhimmāt al-Taʻārīf* ﴿The notification on important definitions﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). ʻĀlam al-Kutub.
19. **Al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad.** (n.d.). *Tahdhīb al-Lughah* ﴿The refinement of language﴾ (M.Ḥ., Ed.).
20. **Al-Saʻdī, ʻAbd al-Raḥmān ibn Nāṣir.** (2022). *Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām al-Mannān* ﴿Facilitation from the generous and merciful in the interpretation of the words of the benefactor﴾ (M.Ḥ., Ed.; 3rd ed.). Muʼassasat al-Shaykh Muḥammad ibn Ṣāliḥ al-ʻUthaymīn.
21. **Al-Nasafī, ʻUmar ibn Muḥammad.** (2019). *Al-Taysīr fī al-Tafsīr* ﴿The facilitation in interpretation﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Lubāb.
22. **Al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr.** (2003). *Jāmiʻ al-Bayān ʻan Taʼwīl Āy al-Qurʼān* ﴿The comprehensive collection of statements on the interpretation of the verses of the Qurʼan﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār ʻĀlam al-Kutub.
23. **Ibn Rajab, ʻAbd al-Raḥmān ibn Aḥmad.** (1999). *Jāmiʻ al-ʻUlūm wa-al-Ḥikam* ﴿The collection of sciences and wisdoms﴾ (M.Ḥ., Ed.; 2nd ed.). Dār Ibn al-Jawzī.
24. **Al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad.** (2006). *Al-Jāmiʻ li-Aḥkām al-Qurʼān* ﴿The comprehensive collection for the rulings of the Qurʼan﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Muʼassasat al-Risālah.
25. **Ibn Taymiyyah, Aḥmad ibn ʻAbd al-Ḥalīm.** (1999). *Al-Jawāb al-Ṣaḥīḥ li-man Baddala Dīn al-Masīḥ* ﴿The correct response to those who altered the religion of Christ﴾ (M.Ḥ., Ed.; 2nd ed.). Dār al-ʻĀṣimah.
26. **Al-Suyūṭī, Muḥammad ibn Abī Bakr.** (2003). *Al-Durr al-Manthūr fī al-Tafsīr bi-al-Maʼthūr* ﴿The scattered pearls in interpretation with transmitted reports﴾ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Markaz Hajr.

27. **Dirāz, Muḥammad ʻAbd Allāh.** (1996). *Dustūr al-Akhlāq fī al-Qur'ān* }The constitution of ethics in the Qur'an{ (M.Ḥ., Ed.; 9th ed.). Mu'assasat al-Risālah.

28. **Dhū al-Rummah, Ghaylān ibn ʻUqbah.** (1982). *Dīwān Dhī al-Rummah* }The poetic collection of Dhu al-Rummah{ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Mu'assasat al-Īmān.

29. **Al-Ālūsī, Maḥmūd ibn ʻAbd Allāh.** (2008). *Rūḥ al-Maʻānī* }The spirit of meanings{ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Al-Maktabah al-Waqfiyyah.

30. **Ibn Qudāmah, ʻAbd Allāh ibn Aḥmad.** (2018). *Rawḍat al-Nāẓir wa-Junnat al-Munāẓir* }The garden of the observer and the shield of the debater{ (M.Ḥ., Ed.; 2nd ed.). Sharikat Ithrā' al-Mutūn.

31. **Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʻīl.** (2001). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* }The authentic collection of Al-Bukhari{ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār Ṭawq al-Najāh.

32. **Muslim, Muslim ibn al-Ḥajjāj.** (2012). *Ṣaḥīḥ Muslim* }The authentic collection of Muslim{ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār Ṭawq al-Najāh.

33. **Al-Samīn al-Ḥalabī, Aḥmad ibn Yūsuf.** (1996). *ʻUmdat al-Ḥuffāẓ fī Tafsīr Ashraf al-Alfāẓ* }The pillar of memorizers in interpreting the noblest of words{ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah.

34. **Al-Naysābūrī, Niẓām al-Dīn al-Ḥasan ibn Muḥammad.** (1996). *Gharā'ib al-Qur'ān wa-Raghā'ib al-Furqān* }Wonders of the Qur'an and desired aspects of the criterion{ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah.

35. **Ibn Ḥajar, Aḥmad ibn ʻAlī.** (1961). *Fatḥ al-Bārī bi-Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* }Opening of the creator in explaining the authentic collection of Al-Bukhari{ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Al-Maktabah al-Salafiyyah.

36. **Al-Shawkānī, Muḥammad ibn ʻAlī.** (2005). *Fatḥ al-Qadīr* }Opening of the almighty{ (M.Ḥ., Ed.; 3rd ed.). Dār Ibn Ḥazm.

37. **Al-Ṭībī, al-Ḥusayn ibn ʻAbd Allāh.** (2013). *Futūḥ al-Ghayb fī al-Kashf ʻan Qināʻ al-Rayb* }Openings of the unseen in uncovering the veil of doubt{ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Jā'izat Dubayy al-Duwaliyyah.

38. **Ibn al-Qayyim, Muḥammad ibn Abī Bakr.** (2019). *Al-Fawā'id* }The benefits{ (M.Ḥ., Ed.; 4th ed.). ʻAṭā'āt al-ʻIlm.

39. **Al-Ḥarbī, Ḥusayn ibn ʻAlī.** (1996). *Qawāʻid al-Tarjīḥ ʻinda al-Mufassirīn* }The rules of preference among exegetes{ (1st ed.). Dār al-Qāsim.

40. **Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ʻUmar.** (2008). *Al-Kashshāf* }The revealer{ (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Kitāb al-ʻArabī.

41. **Al-Tha'labī, Aḥmad ibn Muḥammad.** (2015). *Al-Kashf wa-al-Bayān 'an Tafsīr al-Qur'ān* (Discovery and clarification regarding the interpretation of the Qur'an) (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Tafsīr.
42. **Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram.** (1883). *Lisān al-'Arab* (The tongue of the Arabs). Al-Maṭba'ah al-Amīriyyah.
43. **Ibn Taymiyyah, Aḥmad ibn 'Abd al-Ḥalīm.** (2002). *Majmū' al-Fatāwā* (The collection of fatwas) (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.).
44. **Ibn 'Aṭiyyah al-Andalusī, 'Abd al-Ḥaq ibn Ghālib.** (2015). *Al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-'Azīz* (The concise edited commentary in the interpretation of the mighty book) (1st ed.). Wizārat al-Awqāf.
45. **Al-Shanqīṭī, Muḥammad al-Amīn.** (2005). *Mudhakkirat Uṣūl al-Fiqh* (Memorandum of the principles of jurisprudence) (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār 'Ālam al-Fawā'id.
46. **Al-Baghawī, al-Ḥusayn ibn Mas'ūd.** (2006). *Ma'ālim al-Tanzīl fī Tafsīr al-Qur'ān* (Landmarks of revelation in the interpretation of the Qur'an) (M.Ḥ., Ed.; 2nd ed.). Dār Ṭaybah.
47. **Al-Zajjāj, Ibrāhīm ibn al-Sirrī.** (2003). *Ma'ānī al-Qur'ān wa-I'rābuh* (The meanings of the Qur'an and its grammatical analysis) (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Ḥadīth.
48. **Ibn Fāris, Aḥmad ibn Fāris.** (1999). *Mu'jam Maqāyīs al-Lughah* (The dictionary of language measures) (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Jīl.
49. **Jabal, Muḥammad Ḥasan.** (2012). *Al-Mu'jam al-Ishtiqāqī al-Mu'aṣṣal li-Alfāẓ al-Qur'ān al-Karīm* (The rooted etymological dictionary for the words of the noble Qur'an) (1st ed.). Maktabat al-Ādāb.
50. **Al-Rāghib al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad.** (2002). *Mufradāt Alfāẓ al-Qur'ān* (Vocabulary of the words of the Qur'an) (M.Ḥ., Ed.; 3rd ed.). Dār al-Qalam.
51. **Al-Biqā'ī, Ibrāhīm ibn 'Umar.** (2003). *Naẓm al-Durar fī Tanāsub al-Āyāt wa-al-Suwar* (The stringing of pearls in the proportion of verses and chapters) (M.Ḥ., Ed.; 2nd ed.). Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.
52. **Ibn al-Jauzī, 'Abd al-Raḥmān ibn 'Alī.** (2001). *Zād al-Masīr fī 'Ilm al-Tafsīr* (Provision for the journey in the science of interpretation) (M.Ḥ., Ed.; 1st ed.). Dār al-Kitāb al-'Arabī.